المصطفى من هدي النبوة

تأليف

الدكتور العجمي دمنهوري خليفة

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧ م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصطفى من هدي النبوة

تأليف

الدكتور الحجي دمنهوري خليفة

١٣٩٨ هـ — ١٩٧٧ م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله : نحمده أطيب الحمد ، ونثنى عليه أجل الثناء ، ونسأله من فضله العظيم أن يلهمنا الهدى والرشاد ، ويوفقنا الى الصواب والسداد ، كما نسأله أن يفتح علينا فتحه على الصالحين من عباده ، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ويهدينا لما اختلف فيه من الحق باذنه .

والصلاة والسلام على نبيه الكريم ، ورسوله العظيم ، سيدنا محمد نبى الرحمة وشفيع الامة ، الناطق بوحيه ، والصادع بأمره ، والمبين لشريعته ، من أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وآتاه من المكارم والمحامد فى نفسه وأمته وشريعته مالم يؤت أحدا من عباده ، فجعله فاتحا خاتما ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، ونسخ بشريعته الشرائع ، وبكتابه الكتب ، وضمن له البقاء الى يوم الدين ورضى الله عن آل بيته وأصحابه الطيبين الطاهرين ، الذين تخلقوا بخلقه ، واستنوا بسنته ، وساروا بسيرته ، وحملوا لواء الجهاد معه ومن بعده مخلصين لربهم الدين فزكاهم الله وأثنى عليهم فى محكم كتابه ، ورفع أقدارهم بين أوليائه وأحبابه ، وذلك هو الفوز العظيم .

ورضى الله عمن اتبعهم باحسان الى يوم الدين من العلماء العاملين ، والعباد الصالحين ، والمجاهدين المخلصين ، الذين ساروا الى الله على نهجهم ، وسلكوا الصراط السوى على أثرهم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونسأل الله أن يلحقنا بهم وسائر اخواننا وأحبابنا فى الصالحين غير مضيعين ولا مفتونين (ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم) (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب)

(أما بعد) فمما لا ريب فيه أن السنة النبوية الكريمة هى الاصل الثانى من أصول الدين بعد القرآن العظيم ، ومنزلة السنة من القرآن الكريم شاهد على هذا وناطق به يقول سبحانه وتعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل ولعلهم يتفكرون) (١) .

فهى التى تفصل ما به من اجمال ، وتوضح ما عسى أن يكون فيه من اشكال ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتبسط ما فيه من ايجاز ، وقد تستقل بالتشريع .

لهذا فقد أوصى القرآن الكريم بلزومها والحرص عليها ، وتحكيمها فيما شجر بين الناس من خلاف .

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (٢) .

قال ميمون بن مهران : الرد الى الله هو الرجوع الى كتابه ، والرد الى الرسول هو الرجوع اليه فى حياته والى سنته بعد وفاته

وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) .

وقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله) . وحذر من مخالفته عليه الصلاة والسلام والاعراض عن سنته بعد وفاته وبين أن هذا نذير

---

(١) الآية ٤٤ من سورة النحل
(٢) الآية ٥٩ من سورة النساء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فتنة وعذاب قال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) . فلولا أن أمره عليه الصلاة والسلام حجة لما توعد سبحانه على مخالفته بهذا الوعيد العظيم الفتنة والعذاب الاليم .

وقال (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

وهذا هو فرق ما بين المؤمن الصادق والمتزلزل ، فلن يصدق ايمان المؤمن حتى يحقق هذه الامور وهى أن يحكم شريعة الله وسنة رسوله فى سائر أموره ، وأن لا يجد فى صدره ضيقا أو حرجا من هذا ، وأن ينقاد لذلك انقيادا تاما ، ويسلم تسليما مطلقا بقلبه وجوارحه وقال (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) فقد أوجب الله عز وجل بهذه الآية الاستجابة لامر نبيه والانتهاء بنهيه ، وحذر من مخالفته ذلك فختم الآية بقوله (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) .

أما الاحاديث الدالة على ذلك فكثيرة .

ـ فمنها ما رواه العرباض بن سارية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ) رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

ـ ومنها ما رواه المقدام بن معد يكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته يقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا يحل لكم الحمار الاهلى ، ولا كل ذى ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد الا أن يستغنى عنها صاحبها ، ومن نزل يقوم فعليهم أن يقروه ، فان لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراره » رواه أبو داود فى سننه .

ومنها مارواه ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انه خطب فى حجة الوداع فقال : ان الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أمركم فاحذروا ، انى تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله ، وسنة نبيه .. رواه الحاكم .

وهذه طائفة من الاحاديث النبوية الكريمة فى العقائد والاحكام والفضائل اخترتها من صحاح الاحاديث وبسطت القول فى شرحها وايضاحها لتتلاءم مع ما أحس به من حاجة الناس على اختلاف ثقافتهم ، ولقد أتاحت لى واجباتى الدراسية العلمية أن ألتقى بالناس ممسيا ومصبحا فى قاعات الدراسة بجامعة الازهر ، ثم فى حلقات الدروس بالمساجد ، وكان كثير من هذه الاحاديث صدى لهذه الدروس فى الجامع والجامعة ، ولقد كان لاختيار بعض هذه الاحاديث أسباب دعت اليه وحثت عليه ، من دفع شبه واردة على بعضها ، أو بيان لحقائق صارت غريبة بين الناس لبعدهم عن الدين وغلبة المادة عليهم ، ولقد توسعت فى شرح بعضها توسعا يسترعى النظر فبدت كما لو كانت الى الابحاث المسهبة أقرب منها الى الشروح لاسباب خاصة بها لا تخفى على اللبيب .

وقد بذلت جهدى فى تبسيط المادة العلمية وعرضها فى أسلوب سهل متسلسل يشد القارىء ويعينه على تتبع الحديث والوصول الى غايته من غير أن يصرفه عنه صارف ، وبسطت فقه الحديث ومعناه وسقت له الشواهد من الكتاب الحكيم والاحاديث النبوية لتزيده وضوحا فان الكتاب والسنة توضح نصوصها النصوص الاخرى فهى نور على نور ، وكلما اتسعت دائرة حفظ السنة مع حفظ القرآن الكريم كلما اتسعت المعرفة بذلك؛ لان المعرفة والفهم والفقه شىء وراء الحفظ وقد حرصت على تخريج الاحاديث التى سقتها خلال الشرح وأشرت الى من خرجها من أصحاب الكتب والى درجتها ـ أما الآيات القرآنية فقد نبهت الى سورتها ورقمها ـ وهذا ليرجع من شاء الى هذه الآيات والاحاديث .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وانمـا حرصت على هذا المنهج لتتسع دائرة الاستفادة به ، والاقبال عليه ، ويتم النفـع بـه •

والله أسـأل بمنه وكرمه وفضله أن يرزقه القبول ، وأن ينفع بـه كل من أطلع عليه ونظر فيه واعتنى ، وأن يجعله بداية لجهود مباركة فى خدمة السنة والشريعة والدين ـ انه خير مسئول وأفضل مأمول •

(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشـدا)

مكة المكرمة

غـرة المحـرم سنة ١٣٩٨ هـ

الحادى عشر من ديسمبر سنة ١٩٧٧م

العجمى دمنهورى خليفه

مدرس الحديث بكلية أصول الدين

بجامعة الأزهر ـ القاهرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنت مع من أحببت

عن أنس رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال :

متى الساعة ؟ قال « وماذا أعددت لها » ؟ قال : لا شيء الا أنى أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أنت مع من أحببت » قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبى صلى الله عليه وسلم : أنت مع من أحببت ، فأنا أحب النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبى اياهم وان لم أعمل بأعمالهم • رواه الشيخان واللفظ للبخارى •

الشرح والبيان

أنس هو ابن مالك بن النضر النجارى الأنصارى الخزرجى •

كان له شرف خدمة النبى صلى الله عليه وسلم وملازمته فى أكثر أوقاته ، فقد جاءت به أمه أم سليم رضى الله عنها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بالبركة فى المال والولد والعمر والمغفرة ، فرأى بركات ذلك وتحققه فى حياته ، ورجاه بعد وفاته ، وكان له بستان يحمل فى السنة مرتين ، وكان يجيء منه ريح المسك ، فكثرت أمواله وأولاده وبارك الله فى عمره حسا ومعنى ، فطال عمره وحسن عمله •

نزل أنس البصرة واستقر بها ، وتصدر للرواية وتخرج على يديه كثير من الائمة الكبار أمثال الحسن البصرى وابن سيرين وثابت البنانى ، وسليمان التيمى ، ويحيى بن سعيد الانصارى ، والزهرى وقتادة وغيرهم •

وقد حمل أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم علما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كثيرا بسبب خدمته له وملازمته اياه ـ كما أخذ عن كبار أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وأبى بن كعب ، وقد عمر دهرا طويلا مكنه من نشر هذا العلم وهو أحد الستة المكثرين من الحديث ، وكان آخر الصحابة موتا بالبصرة ـ وقد اختلف فى وفاته على نحو أربعة أقوال فقيل سنة ثلاث وتسعين ، وقيل سنة تسعين وقيل سنة احدى وتسعين وقيل سنة اثنتين وتسعين ، وهو المرجح .

فرضى الله عنه وأرضاه .

شغل التفكير فى أمر الساعة البشر قديما وحديثا ، وأهمهم أن يتعرفوا موعد قيامها ، ووقت حدوثها .

فقد تحدث القرآن الكريم عن القيامة من نواح شتى ، وجوانب متعددة : تحدث عن أشراطها وعما يكون بين يديها من نذر وآيات ، وتحدث عما ستكون عليه أحوال الناس فى ابانها وعند اقتراب زمانها ، وأفاض فى الكلام عن أحداثها ، من البعث والحشر ، والموقف ، والصراط ، والوزن والجنة والنار ـ وتجاوز ذلك الى الكلام عن أحوال البشر يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ـ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، وعن تقلب قلوبهم وأبصارهم بين خوف ورجاء ، ويأس وأمل ، وبين ما سوف يصير الناس اليه من شقاء أو سعادة ، هوان أو كرامة ـ فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

وكذلك فعل خاتم الانبياء والمرسلين ـ وهو المبلغ عن ربه والناطق بوحيه ـ ففصل من هذه الامور مجملات ، وحل مشكلات ، وأضاف الى ما جاء فى القرآن ما أضاف مما كشف له وأطلع عليه ، وأذن له فيه .

ولكن القرآن الكريم لم يفصح بشىء عن الوقت الذى تقوم فيه بل رد علمها الى الله ، وأوضح أنه سر من الاسرار التى احتفظ بها لنفسه ، ولم يكشف عنها لاحد من خلقه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فتساءل الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان الوحى ينزل عليه عن هذا الامر الذى شغل بالهم ، وحير أفهامهم .

والقرآن الكريم يسجل هذا الاهتمام الواضح من الناس بأمر قيام الساعة ، ويوجه الدعاة الى الله الى طريق الجواب عنه .

قال الله تعالى : (يسألونك عن الساعة : أيان مرساها قل انما علمها عند ربى ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت فى السموات والارض ، لاتأتيكم الا بغتة ، يسألونك كأنك حفى عنها ، قل انما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١) .

وقال : (يسألك الناس عن الساعة ، قل : انما علمها عند الله ، وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) (٢) .

وقال (يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، فيم أنت من ذكراها ، الى ربك منتهاها ، انما أنت منذر من يخشاها ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) (٣) .

ويقول سبحانه (الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان ، وما يدريك لعل الساعة قريب ، يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ، ويعلمون أنها الحق ، ألا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد) (٤) .

وتتكرر فى القرآن الكريم هذه الآية (ويقولون متى هذا الوعد أن كنتم صادقين) ويتنوع الجواب عما اشتملت عليه فى كل مناسبة .

يقول سبحانه : (ويقولون : متى هذا الوعد ان كنتم صادقين * قل :

---

(١) سورة الأعراف (١٨٧) .
(٢) سورة الأحزاب (٦٣) .
(٣) سورة النازعات (٤٢ـ٤٦)
(٤) سورة الشورى (١٧ـ١٨)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ، لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (١) .

ويقول : (ويقولون : متى هذا الوعد ان كنتم صادقين * لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ، بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولاهم ينظرون (٢) .

ويقول : (ويقولون : متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ، قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) (٣) .

ويقول : (ويقولون : متى هذا الوعد ان كنتم صادقين * ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون * فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون) (٤) .

ويقول : (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ، قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين ، فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به تدعون (٥) .

وهكذا نرى الجواب عن هذا التساؤل يتنوع لاختلاف أحوال السائلين ، الا أنه اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد .

كذلك وجه السؤال نفسه الى النبى صلى الله عليه وسلم من أناس اختلفت مشاربهم ، وتنوعت عقائدهم ، وتباين تفكيرهم ، فمنهم المؤمن الذى يريد أن يعرف ويتعلم ، ومنهم المنكر المتعنت الذى يسأل استبعادا واستهزاء ، ومنهم من يناسبه الجواب الصريح ، ومنهم من يناسبه أن يسلك معه مسلك آخر أجدى عليه وأنفع له ، والمربى الذى أشرق بنور الله قلبه،

---

(١) سورة يونس (٤٨ ، ٤٩) .
(٢) سورة الأنبياء (٣٨ ـ ٤٠) .
(٣) سورة سبأ (٢٩ ، ٣٠)
(٤) سورة يس (٤٨ ـ ٥٠)
(٥) سورة الملك (٢٥ ـ ٢٧) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يسألونه ـ بذلك يهتدى لما ينبغى أن يكون عليه فى تعليمهم وارشادهم ، فيهدى فى ذلك الى الصواب ، ويوفق للحكمة وفصل الخطاب .

ومن أعرف بالنفوس ، وأقدر على علاجها وسياستها ، وأبصر بالطب لها من محمد صلى الله عليه وسلم الذى اصطفاه ربه واجتباه ، وأدبه وعلمه وزكاه ، وأنزل عليه الكتاب والحكمة وعلمه مالم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما .

ومن ثم فقد اختلفت اجابات النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا السؤال تبعا لاختلاف أحوال من توجهوا به .

ـ فقد سأله جبريل عليه السلام فى حديثه المشهور المروى فى الصحيحين وغيرهما عن الساعة فأجابه بقوله : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ، ومن المعلوم أن جبريل جاء معلما ولم يأت متعلما ، وأن القوم كانوا قد أكثروا من السؤال عن الساعة فجاء جبريل يسأل ليسمع الناس هذه الاجابة حتى لا يعاودوا السؤال بعدها ، لانه اذا كان المسئول وهو أمين الوحى فى الارض والسائل وهو أمين الوحى فى السماء لا يعلمان عن أمر قيامها شيئا فمن ذا الذى يتطاول بعدهما من الخلق الى معرفتها ؟ ثم أنه عليه الصلاة والسلام أرشده الى مهمات من علاماتها ، وساق له بعض من اشراطها وآياتها .

ـ وسأله أعرابى وهو جالس يحدث أصحابه فأجابه بنحو ما أجاب به جبريل عليه السلام ، فعن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنه قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم جاءه أعرابى فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يحدث ، فقال بعضهم : سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع ، حتى اذا قضى حديثه قال : أين ـ أراه ـ السائل عن الساعة ؟ قال : ها أنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يارسول الله ، قال « اذا ضيعت الامـانة فانتظر السـاعة » قال : وكيف اضاعتها ؟ قـال « اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة » (١) .

فما أجابه عليه الصلاة والسلام بأكثر من الاشارة الى شيء من علاماتها وهو اختلال الاحوال وفساد الامور حتى تضيع الامانة ، وتسند الامور الى من ليسوا أهلا لها ، ويقـدم من لا يستحق أن يقدم ، ويسـود الاراذل ويؤخر الامـاثـل .

* * *

ـ وعن عائشـة رضى الله عنها أنها قالت : كان رجال من الاعراب جفاة يأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيسألونه متى السـاعة ؟ فكـان ينظر الى أصغرهم فيقول « ان يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتـكم » (٢) .

قال هشام أحد رواة الحديث : يعنى موتهم ـ لان ساعة كل انسان موته فهى الساعة الصغرى لا الكبرى التى هى بعث الناس ولا الوسطى التى هى موت أهل القرن الواحد ، وهذا الجواب ـ كما قال الداودى ونقله ابن حجر فى فتح البـارى من معاريض الكلام لانه لو قال لهـم لا أدرى ابتداء مع ما هم عليه من الجفاء وقبل تمكن الايمان من قلوبهـم لارتابوا ، فعدل الى اعلامهم بالوقت الذى ينقرضون فيه ، ولو كان الايمان تمكن من قلوبهم لافصح لهم بالمراد ، وقال غيره : هذا الجواب من أسلوب الحكيـم أى دعـوا السـؤال عن وقت القيـامـة الكبرى فانـه لايعلمها الا الله ، واسألوا عن الوقت الذى يقع فيه انقراض عصركم فهـو اولى لكم لان معرفتكم به تحملكم على ملازمة العمل الصالح قبل فوته لان أحدكم لا يدرى من الذى يسبق الآخر (٣) .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب العلم . (٢) البخارى فى الرقاق .
(٣) متفق عليـه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما السائل فى الحديث الذى نحن الآن بصدد شرحه وتحليله ـ وهو رجل من أهـل البادية كما صح ذلك عن أنس من رواية قتادة وغيره عنه ، والذى رجح الحافظ فى الفتح أنه ذو الخويصرة اليمانى ، ورد ما زعم ابن بشكوال أنه أبو موسى الاشعرى أو أبو ذر (١) فقد أجابه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله « وما أعددت لها » ؟ وفى رواية « ما أعددت لها » بدون الواو ، وفى رواية « ويلك وما أعددت لها » فقد عدل صلوات الله وسلامه عليه عن اجابته عن سؤاله عن الساعة الى سؤاله عما أعد لها ، ومثل هذا يطلق عليه علماء البيان أسلوب الحكيم ، وكأن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم يقول له : ان الاهتمام ينبغى أن يوجه الى الاعمال التى يعدها العبد لذلك اليوم الذى يلقى فيه ربه فيحاسبه على ماقدم من عمله ويمنحه من غفرانه ورحمته ، ورضوانه وجنته ما يتناسب مع عمله واخلاصه وجهاده فبالعمل فاز الفائزون وسبق السابقون ـ أما الساعة فقد اقتضت حكمة الله أن يخفيها عن عباده (ان الساعة آتية أكاد أخفيهـا لتجزى كل نفس بمـا تسعى (٢) • ليكن اجتهادكم فيما طلب منكم ، ولا تتعلق قلوبكم بمعرفة ما طوى الله عنـكم •

ـ فماذا كان شعور الرجل حين سمع هذه الاجابة من النبى صلى الله عليه وسلم والتى جاءت على صورة السؤال ، وكيف كان جوابه عليها ؟

لقد غلب عليه التواضع والاستكانة ، وعدم الاعتداد بعمله ، وقـد لاحظ أنس رضى الله عنه ذلك وعبر عنه بقوله (فكأن الرجل استكان) كما فى رواية كتاب الاحكام • أما جوابه فقد اختلفت الروايات فى اللفظ الذى نطق به الرجل ففى روايتنا هذه أنه قال (لاشىء الا أنى أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم) وفى بعضها (ما أعددت لها من كثـير صـلاة ولا صيام ولا صـدقة ولكنى أحب اللّه ورسوله وفى بعضها مـا أعددت لها الا أنى أحب الله ورسوله) وكل هـذه الالفاظ صحت به الرواية عن أنس فى الصحيحين •

---

(١) أنظر فتح البخارى ٨/٤٩ • (٢) سورة طـه (١٥) •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والجمع بين هذه الروايات سهل يسير ان شاء الله ، فنقول فى رواية (لا شيء الا أنى أحب الله ورسوله) أى لا شيء أعتمد عليه ، وأركن اليه وأعتد به الا المحبة ، ولا يعنى ذلك أن الرجل يعترف أنه لم يعمل شيئا أصلا لان هذا يتعارض تعارضا ظاهرا مع الرواية التى تقول (ما أعددت لها من كثير صلاة ولاصيام ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله)ـ وهى أم الروايات وأرجحها فى نظرنا ـ فانها تشير اشارة واضحة الى أن للرجل عملا من الصلاة والصيام والصدقة وان لم يكن يراه كثيرا •

ومثل هذا يقال فى رواية (ما أعددت لها الا أنى أحب الله ورسوله أى ما أعددت لها ما أحمد عليه نفسى ويطمئن اليه قلبى الا المحبة •

وبهذا تلتقى الروايات ، والحديث يفسر بعضه بعضا ، وبخاصة اذا كانت جميع الروايات فى حيز الصحة والقبول كما هو الشأن ههنا •

ولقد كان التواضع والاستكانة وقلة الاعتداد بالعمل ، أو الاعتماد عليه من الصفات البارزة فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد كانوا يستقلون كثير ما يقدمون من عمل صالح ، ويستعظمون قليل ما يصدر عنهم من هفوات أو هفات ، وشواهد ذلك من أقوالهم وأعمالهم تجل عن الحصر •

والسر فى سيطرة هذه المشاعر الكريمة عليهم ، وتأصل هذه الصفات السامية فيهم هو قربهم من النبى صلى الله عليه وسلم ، وتأثير روحانيته العظيمة عليهم فى تزكية نفوسهم ، وتطهير قلوبهم ، واذا زكت النفس ، وطهر القلب خلص اتجاه المؤمن الى ربه الذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره مستشعرا قول الله جل جلاله لنبيه ومصطفاه (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أمرت وأنا أول المسلمين) (١) ولهذا كان خير القرون قرنه عليه الصلاة والسلام ببركة صحبته وتربيته ، وتعليمه وروحانيته .

وهنا يسوق النبى صلى الله عليه وسلم البشرى لهذا السائل المحب ولسائر المحبين بكلمته التى فرح بها أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من فرحهم بأى شيء سواها « أنت مع من أحببت » فما هو الحب ؟

ـ الحب هو ميل النفس الى ما فيه منفعة أو لذة أو هوى ، وحب الله تعالى هو تعلق القلب به على وجه يليق بذاته من الاعظام والاكبار والاجلال ، فهو فى نظرنا بحسب معناه الموضوع له فى أصل اللغة . وقد تعاظم قوم تفسير الحب فى مثل هذا الموطن بالميل القلبى لان الحب فى نظرهم لا يكون الا بين متشاكلين ومتجانسين والله سبحانه ليس كمثله شيء ثم افترقوا فقال قوم : انه الطاعة ، وقال قوم : انه الحب العقلى الذى يقتضى ايثار ما يقتضى العقل السليم ايثاره وان كان على خلاف هوى النفس ، وللامام الغزالى رحمه الله تعالى كلام طيب فى هذه المسألة يقول فيه : وأما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى أنكر بعض العلماء امكانها ، وقال : لامعنى للمحبة الا المواظبة على طاعة الله تعالى ، وأما حقيقة المحبة فمحال الا مع المثال ، وقال تحت عنوان : بيان شواهد الشرع فى حب الله تعالى : أعلم أن الامة مجتمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله فرض ، وكيف يفرض ما لا وجود له ؟ وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته ؟ ، ويدل على اثبات الحب لله تعالى (يحبهم ويحبونه) (٢) وقوله تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) (٣) وهو دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت فيه (٤) .

والحق أن تفسير الحب فى هذا الموطن وأمثاله بغير المعنى المتبادر

---

(١) سورة الأنعام (١٦٢ ، ١٦٣) .
(٢) سورة المائدة (٥٤) (٣) سورة البقرة (١٦٥) .
(٤) أحياء علوم الدين ١٤/٢٥٧١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منه خروج على الفطرة واللغة وآيات القرآن الحكيم والاحاديث الشريفة .

ـ أما خروجه على الفطرة فلما يحسه كل مؤمن صادق الايمان من تعاق بالله تبارك وتعالى يملك عليه أقطار نفسه ، ويستغرق جوانب قلبه ، وتتضح سيطرة هذا الشعور اثر عبادة خاشعة ، يصحبها صفاء النفس ، وحضور القلب ، ووجدان الانس ـ ويرى فيها العبد احسان ربه المترادف ، وعظمته الشاملة .

ـ أما خروجه على اللغة فلأن الالفاظ وضعت لمعان تتبادر الى الذهن عند سماعها أو النطق بها ـ ولا ينبغى تفسير اللفظ بغير المعنى الموضوع له فى أصل اللغة الا لقرينة صارفة عن ارادة المعنى الاصلى ، وبحيث تكون قرينة قوية لا مجرد توهم والقرينة هنا قائمة على امكان ارادة المعنى الاصلى بشهادة الفطرة وقد سبق بيانها وبشهادة الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التى تثبت ذلك ثبوتا قويا لا يدع مجالا لانكاره أو التمادى فيه ، ولئن قيل : ان الحب محال الا مع المثال ، وأن هذا قرينة صارفة عن امكان حب العبد لربه بمعناه الحقيقى قلنا لا نسلم ذلك لان معناه أن كل انسان لا يتجاوز حبه جنسه فلا يحب زهرة متفتحة ولامنظرا بهيا ، وكذلك سائر الخلائق لا يتجاوز حبها جنسها مع أن المعروف والمشاهد أن الحب متبادل بين سائر المخلوقات التى يصح أن يكون منها تلك العاطفة النبيلة .

أما الآيات القرآنية فكثيرة وقد مر بعضها ومن أظهرها قوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم (١) فقد شهد الله تبارك لعباده هؤلاء أنه يحبهم ويحبونه ـ

---

(١) تتمة آية سورة المائدة (٥٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم أثبت لهم أنهم يجاهدون فى سبيل الله .. والجهاد نوع من العمل أو ربما كان شاملا لجميع الاعمال .

ومنها قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (١) فقد أدعى أهل الكتاب أنهم يحبون الله فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم أن محبة الله ليست دعوى تطلق باللسان وانما الدليل على صدقها اتباع شريعة الله التى جاءت على يد خاتم أنبيائه ورسله محمد صلّى الله عليه وسلم ، فالمحبة عاطفة وشعور أما الدليل على الصدق فى ذلك فانه الاتباع على نحو ما فعل أولئك الذين أخبر الله عنهم بأنهم (.. لا يستكبرون ، واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) (٢) . والاتباع أعنى الطاعة والانقياد شىء والحب شىء آخر .

أما الاحاديث فمنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعائه ليلة رأى ربه مناما « اللهم انى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، واذا أردت فتنة بقوم فتوفنى غير مفتون ، أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب الى حبك » (٣) .

فالنبى صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يوفقه الى حبه والى حب أحبابه ، والى حب عمل يقرب الى حبه ، وذلك بعد أن سأل التوفيق الى فعل الخيرات ، والى ترك المنكرات ـ فلو كانت المحبة هى الطاعة لما كان فى سؤال المحبة بعد سؤال التوفيق الى الخيرات من فائدة .

وكذلك الحديث الذى نحن بصدده يقول فيه ذلك الرجل (ما

---

(١) سورة آل عمران الآية (٣١) (٢) سورة المائدة (٨٠،٨١)
(٣) مسند أحمد ، ورجاله . ثقات ـ أنظر ابن كثير ٤/٤٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكنى أحب اللهورسوله) فها نحن نرى أنه نفى لنفسه كثرة العمل ـ ثم أثبت محبة الله ورسوله ، أفيكون ما أثبته ثانيا هو ما نفاه أولا ؟ ـ اللهم كلا .

أما حب الرسول صلى الله عليه وسلم فليس هناك ما يدعو للتأول فيه أو صرفه عما يتبادر منه ، ولهذا فلا حرج فى اثبات حب المسلمين لنبيهم وحبيبهم صلوات الله وسلامه عليه ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يؤمن أحدكم حتىأكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين » (١) . قال أبو الزناد هذا من جوامع كلمة صلى الله عليه وسلم اذ أقسام المحبة ثلاثة : محبة اجلال واعظام كمحبة الوالد ، ومحبة رحمة واشفاق كمحبة الولد ، ومحبة شاكلة واستحسان كمحبة الناس بعضهم بعضا فجمع عليه السلام ذلك كله .

قال القاضى : ومن محبته نصرة سنته ، والزب عن شريعته ، وتمنى حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه ، وبهذا يتبين أن حقيقة الايمان لا تتم الا به ، ولا يصح الايمان الا بتحقيق انافة قدر النبى صلى الله عليه وسلم ومنزلته على كل والد ومحسن ومتفضل ، ومن لم يعتقد ذلك واعتقد سواه فليس بمؤمن .

وللامام أبى العباسى أحمد القرطبى المالكى صاحب المفهم تعقيب على كلام القاضى يقول فيه : ظاهر كلام القاضى عياض صرف المحبة الى اعتقاد تعظيمه واجلاله ، ولاشك فى كفر من لا يعتقد ذلك غير أنه ليس المراد بهذا الحديث اعتقاد الاعظمية ، اذ اعتقاد الاعظمية ليس بمحبة ولا مستلزما لها ، اذ قد يحمد الانسان اعظام شىء مع خلوه عن محبته ، فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك لم يكمل ايمانه ، على أن كل من آمن ايمانا صحيحا لا يخلو من تلك المحبة وقد قال عمرو بن العاص رضى الله عنه

---

(١) متفق عليه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(وما كان أحد أحب الى من رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، ولا أجل فى عينى منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه اجلالا له) وأن عمر رضى الله عنه لما سمع هذا الحديث قال : يارسول الله أنت أحب الى من كل شيء الا من نفسى فقال : ومن نفسك ياعمر ، فقال : ومن نفسى فقال : الآن ياعمر ، وهذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم بل ميل قلب ولكن الناس يتفاوتون فى ذلك قال الله تعالى (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) ولا شك أن حظ الصحابة رضى الله عنهم من هذا المعنى أتم ، لان المحبة ثمرة المعرفة وهم بقدره ومنزلته أعلم ، والله أعلم أ هـ (١) .

وأسباب الحب كثيرة وأهمها كمال المحبوب وجماله واحسانه ومهما اكتملت هذه الاسباب فيه فان القلوب التقية تتوجه اليه بالحب والاجلال والاكبار ، ولما كانت كمالات الله سبحانه لا حد لها ، وله الجمال المطلق ، وكان احسانه الى خلقه ، ونعمه على عباده لا تحصى ولا تحصر ، لاجرم استحق سبحانه أعظم الحب واستوجب غاية الاكبار والاجلال .

والناس يتفاوتون فى حبهم لله تبارك وتعالى تفاوتا كبيرا بحسب معرفتهم له ، وعلمهم به ، وبمقدار ادراكهم لهذه المعانى ، ثم بمدى سيطرتها على مشاعرهم وأحاسيسهم ، وكلما فكر المؤمن فى ملكوت السموات والارض ، وتأمل ما فى ابداع الخالق البارىء المصور من كمال وجمال ، وما ينطوى عليه ذلك من تدبير محكم ، وحكمة بالغة ، وقدرة شاملة ، وعلم محيط وكلما فكر فى الاحسان الشامل ، والحلم التام ، والكرم العميم كلما ازداد لربه حبا وقربا .

ولهذا كانت تلاوة القرآن الكريم ، وتدبره بقلب حاضر ، وذهن

---

(١) راجع فى هذه النقول عمدة القارىء لبدر الدين العينى ١/١٤٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صاف تثير فى قلب المسلم أعظم الحب ، ومنتهى الاجلال والاكبار ، لانها تعرض هذه الحقائق فى صور حية ملموسة ، توقظ النفس من سباتها ، وتنبه القلب من غفلته •

أما حب الرسول صلى الله عليه وسلم فان أسباب الحب لم تكتمل فى بشر مثلما اكتملت فيه عليه الصلاة والسلام •

فقد كمله الله بالنبوة ، وجمله بالرسالة ، وجعله خاتم الانبياء والمرسلين ، فختم به النبوات ، وأكمل برسالته الرسالات ، وآتاه فى نفسه وفى شريعته وفى أمته مالم يؤت أحدا من خلقه ، فقد جعله الله سيد الاولين والآخرين ، ونسخ بشريعته الشرائع ، وبكتابها الكتب وتكفل بحفظه وابقائه الى يوم الدين فقال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (١) وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وسجل ذلك فى كتابه قرآنا يتلى ويتعبد به الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، وآتاه من مكارم الاخلاق مالم يؤت أحدا من خلقه ، وجعله فاتحا خاتما ، وأول شافع وأول مشفع •

وقد ترادفت منن الله علينا به ، وتوالى احسانه علينا بسببه ، لهذا استحق صلوات الله وسلامه وبركاته عليه أعظم الحب بعد الله سبحانه وتعالى •

وللحب الصادق دلائل تنبىء عنه وتشهد له :

فمن دلائله حب القرآن الكريم ، لانه كلام الله سبحانه ، ومعجزة نبيه الكريم ، وحجته الباقية الى يوم الدين •

ومن دلائله محبة العلماء العاملين ورثة الانبياء والمرسلين وحملة الامانة من بعدهم •

---

(١) سورة الحجر الآية (٩) •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن دلائله محبة المهاجرين والانصار والنظر فى سيرهم ، والاقتداء بهم فى صلاحهم وجهادهم ، لان الله سبحانه وتعالى زكاهم وأثنى عليهم ، ولان الرسول صلى الله عليه وسلم شهد لهم وجعل حبهم علامة على صدق الايمان وبغضهم علامة على النفاق قال صلى الله عليه وسلم (آية الايمان حب الانصار ، وآية النفاق بغض الأنصار) (١) .

ومن دلائله موالاة أولياء الله وذوى الغيرة على دينه ، ومعاداة أعدائه .

ومن دلائله شدة الرغبة فى الآخرة والعزوف عن الدنيا ، وايثار أمر الله ودينه على حظوظ النفس وأهوائها .

ـ ثم ينبغى أن نعلم أن المعية التى بشر النبى صلى الله عليه وسلم بها هذا الرجل وبشر بها كل محب لا تعنى أنه مع النبى صلى الله عليه وسلم فى درجة واحدة ، فليس من لوازم المعية التساوى ، فقد يكون القوم معا فى مكان واحد ويكرم كل منهم على مقدار منزلته ، وحسبما يقتضيه مقامه .

عناصر الكلمة الاخيرة

قال أنس :

فما فرحنا بشىء فرحنا

تثبتهم من هذا الفرح صراحة فى رواية

ـ يدل هذا الفرح على أن هذا المعنى كان جديدا عليهم .

---

(١) متفق عليه ، وهذا لفظ البخارى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ ويدل على شدة حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حرصوا على معيته فى الآخرة كما حققها الله لهم فى الدنيا .

يذكرنا هذا بقول من نزل فيه ..

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ـ التفسير لابن كثير ويذكرنا بحديث الصحابى القائل أسئلك مرافقتك فى الجنة ـ الحديث فى رياض الصالحين .

حب أنس لرسول الله ولصاحبيه .

دلالة الحديث على تقدم الشيخين على غيرهما وتقدم الصديق على الفاروق .

استدلال البخارى بالحديث فى مناقب عمر على فضله لفظ آخر للحديث ـ (فمر غلام للمغيرة وكان من أقرانى) .

دلالة اختلاف الروايات فى مثل هذا .

الاقتصار فى بعض الروايات على بعض وذكر بعضها فى مناسبة أخرى .

تخريج الحديث واستنباط البخارى الفقه منه وكيف ومم تستنبط الاحكام والفوائد ـ وعودة الى فوائد ايراد طرق الحديث ورواياته .

ثم قال أنس : (فما فرحنا بشىء فرحنا بقول النبى صلى الله عليه وسلم: « أنت مع من أحببت » . وجاء فى رواية فى كتاب الادب للبخارى أنهم أرادوا أن يتثبتوا من هذه المعية صراحة فقالوا : ونحن كذلك ؟

قال « نعم » وفى رواية لمسلم (فما فرحنا بشىء بعد الاسلام فرحا أشد من قول النبى صلى الله عليه وسلم « فانك مع من أحببت » . والمعنى أن الفرح الذى حصل لنا بهذه البشرى العظيمة وهى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أننا سنكون فى معية من نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحصل بشيء آخر من الامور التى من شأننا أن نفرح بها .

ويدل هذا الفرح الغامر على أن هذه البشرى كانت تطرق أسماعهم لاول مرة ، وأن الاحاديث التى سئل فيها النبى صلى الله عليه وسلم عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال « المرء مع من أحب » ونحو ذلك متأخرة عن هذا الحديث كأنما لزيادة التأكد مما دل عليه .

ويدل هذا الفرح كذلك على شدة حبهم رضى الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورغبتهم العظيمة فى أن يظفروا بمعيته فى الآخرة كما ظفروا بها فى الدنيا ، وقد ورد عن أصحابه فى هذا المجال ما يثير الدهشة والعجب :

فهذا ربيعة بن كعب الاسلمى رضى الله عنه يقول : كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فآتيه بوضوئه وحاجته ، فقال : «سلنى» فقلت : أسألك مرافقتك فى الجنة ، فقال « أو غير ذلك »

قلت : هو ذاك ، قال « فأعنى على نفسك بكثرة السجود » (١) فهذا الصحابى الجليل التى تشرف بخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرب منه يحدث أنه كان يبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل ذلك فى بعض أحواله وأسفاره وأنه كان يأتيه بالماء لوضوئه اذا قام من الليل ليتهجد أو قام لصلاة الفجر ، ويقضى له ما يريد من حاجة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يسأل ما يريد وأنه طلب مرافقة النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، وأنه عليه الصلاة والسلام صرفه عن ذلك برفق ، وطلب منه أن يطلب شيئا آخر غير ذلك المطلب البعيد المنال ، فلما رآه مستمسكا بما سأل أمره بكثرة الصلاة حتى يكون أهلا لان يجاب فيه وله هذا الفضل الكبير ـ وكأنما أراد عليه الصلاة والسلام أن يقول له ولغيره : ان الدرجات

---

(١) رواه مسلم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا تنال بمجرد الدعوات ، بل لابد فيها من المجاهدات ، واذا كان دخول الجنة فوزا عظيما بشهادة القرآن الكريم فان مجاورة النبى صلى الله عليه وسلم أكبر وأعظم ــ ثم من وراء ذلك المرافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها ملازمة دائمة • فهى أكبر وأعظم وأجل •

ثم يقول أنس (فأنا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبى اياهم وان لم أعمل بأعمالهم) •

دلالة هذا الكلام على فضل الشيخين الجليلين ، والخليفتين العظيمين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لا تحتاج الى بيان ، ودلالته على ترتيب منزلتهما وتقدم الصديق على الفاروق واضحة ــ وقد جاء هذا فى غير هذا الموطن عن أنس ففى الصحيح عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبوبكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال «أثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان » (١) وقد أخذ أنس هذا الترتيب من صنيع •• الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم (فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : انى لواقف فى قوم ندعو الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره اذا رجل من خلفى قد وضع مرفقه على منكبى يقول : رحمك الله انى كنت لارجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لانى كثيرا مما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت أنا وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ، فان كنت لارجو أن يجعلك الله معهما ، فالتفت فاذا على بن أبى طالب رضى الله عنه) (٢)•

ولذلك فان الامام البخارى رحمه الله تعالى قد أخرج هذا الحديث بهذه الرواية فى فضل عمر رضى الله عنه مستدلا به وبنظائره على فضل عمر ومنزلته من الصديق ومن النبى صلى الله عليه وسلم ــ وهذه الزيادة التى يعقب بها أنس رضى الله عنه على الحديث ذكرتها بعض

(١ ، ٢) البخارى كتاب الفضائل/باب فضل عمر •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الروايات دون بعض ، والظاهر أن أنسا كان يذكر فى بعض مناسبات روايته للحديث دون بعض .

وفى رواية قتادة عن أنس التى أخرجها البخارى فى كتاب الادب يقول أنس : فمر غلام للمغيرة وكان من أقرانى فقال : ان أخر هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة) والمراد من الساعة هنا انقراض الجيل الذى منه هذا الغلام كما مر بيانه من كلام هشام بن عروة رحمه الله .

ويؤخذ من الحديث فوائد كثيرة منها فضل حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ومنها سبق الصديق وفضل الفاروق رضى الله عنهما .

ومنها مبلغ حب الصحابة وتعلقهم بالنبى صلى الله عليه وصاحبيه

ومنها فضل ذلك السائل وبشراه الخاصة بمعية الله ورسوله .

ومنها معاملة النبى صلى الله عليه وسلم كل سائل بما يستحق ، فقد يصرح له بالجواب ، وقد يسلك معه طريقا آخر .

ومنها ما أشار اليه الامام البخارى فى تخريجه لاحدى روايات الحديث (بينما أنا والنبى صلى الله عليه وسلم خارجان من المسجد) (١) من أنه لا بأس بالقضاء والفتيا فى الطريق .

ومنها أن الصحابة رضى الله عنهم كان أحدهم اذا روى حديثا لرسول اللهصلى الله عليه وسلم أو قصة وقعت بين يديه أو حوارا جرى معه يتضمن تشريعا أو آدابا أو فضائل فانه قد يذكر ذلك فى مناسبات مختلفة ولاسباب مختلفة كذلك ، فقد يذكره على طريق التعليم والنصيحة والموعظة وقد يذكره لمجرد ابلاغ العلم وأدائه ، وقد يذكر الحديث

---

(١) البخارى فى كتاب الأحكام ـ باب القضاء والفتيا فى الطريق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجردا عن مُناسبته فى وقت ، ويذكره محفوفا بذكر شىء من تفاصيله ومناسباته ، والظروف التى قيلت فيه ، والآثار التى ترتبت فى وقت آخر .

وقد يروى الحديث الواحد عن أكثر من صحابى فيلاحظ أحدهم مالا يتنبه له الآخر ، ويحفظ مالا يحفظ ، ويروى من اللطائف والفوائد ما لايروى غيره بحسب ما لدى كل منهم من ذكاء وفطنة ، وبمقدار ما منحوا من لطف الحس ، ودقة الفكر ، وجودة التعبير .

وبهذا ندرك أن استقصاء الروايات المختلفة للحديث الواحد ، وجمع الاحاديث الكثيرة فى الموضوع الواحد والمسألة الواحدة ليست عبثا ولا ترفا ، وانما هى ضرورة لفهم الحديث ومعرفته ومن كلام بعض المحدثين فى ذلك (لو لم نكتب الحديث من خمسين وجها لما عقلناه) قال على بن المدينى (الباب اذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطأه) .

وفيه غير ذلك مما سبقت الاشارة اليه أو التنبيه عليه ، والله أعلم وهو أجل وأحكم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فضل دوام الذكر ومجالسة الصالحين

عن حنظلة الاسيدى رضى الله عنه أنه قال : لقينى أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال : قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات فنسينا كثيرا ، قال أبو بكر ، فو الله انا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟ قلت : يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ـ

(والذى نفسى بيده ان لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، ثلاث مرات) أخرجه مسلم .

الشرح والبيان

راوى هذا الحديث العظيم ، وصاحب قصته المباركة هو الصحابى الجليل حنظلة بن الربيع بن صيفى الاسدى التميمى ،

كان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن الذين سمعوا منه ، ورووا عنه ، واقتفوا أثره فى تزكية نفوسهم واصلاح قلوبهم .

وهذا الحديث يدل على مبلغ مراقبته لقلبه ، ومراعاته لخواطره

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وخلجات نفسه ، وشدة حرصه على علاج قلبه مما يظن أنه نزول من المكانة السامية ، وهبوط عن المستوى الرفيع .

وقبل أن نعرض للحديث بالشرح والتحليل فانه يجدر بنا أن نبين ما فيه من ألفاظ تحتاج الى ضبط أو بيان أو اعراب .

فحنظلة ـ بفتح الحاء ـ والربيع ـ بضم الراء وفتح الباء وتشديد الياء بزنة فويعل . وصيفى ـ بتشديد الياء الاخيرة على هيئة المنسوب . والاسيدى ـ ضبطوه بوجهين : الاول : ضم الهمزة وفتح السين وتشديد الياء ، والثانى كذلك الا أنه بتخفيف الياء ، وهو ابن أخى أكثم بن صيفى الحكيم المشهور ، والمعافسة : هى المعالجة والمحاولة ، ورواه الخطابى عانسنا ـ بالنون بدل الفاء وفسره بلاعبنا ، ورواه القتبى عانشنا بالنون والشين وفسره بعانقنا والتفسير الاول أولى لانه يجمع الملاعبة وغيرها ـ وقد جاء عن حنظلة نفسه فى رواية أخرى لمسلم بقوله (ضاحكت الصبيان ولا عبت المرأة) وهى مفسرة لروايتنا هذه والضيعات : هى المعايش ، قال ابن الاثير : وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك .

(وكأنا رأى عين) بفتح الياء من رأى بتأويل كأنا نرى ذلك رأى العين ، وبضمها خبرا لكأن أى كأنا بحال من يراها بعينه .

وأما لفظ يد فى قوله عليه الصلاة والسلام فمن المتشابهات قال بدر الدين العينى : افترق العلماء فى مثل هذا على فرقتين احداهما تسمى مفوضة ، وهم الذين يفوضون الامر فيها الى الله تعالى قائلين (وما يعلم تأويله الا الله) والاخرى تسمى مؤولة وهم الذين يؤولون مثل هذا كما يقال المراد من اليد القدرة عاطفين (والراسخون فى العلم ـ) على الله . والاول أسلم والثانى أحكم ـ ثم قال رحمه الله : قلت ذكر أبو حنيفة أن تأويل اليد بالقدرة ونحو ذلك يؤدى الى التعطيل ، فان الله تعالى أثبت لنفسه يدا فاذا أولت بالقدرة يصير عين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التعطيل ، وانما الذى ينبغى فى مثل هذا أن نؤمن بما ذكره الله من ذلك على ما أراده ولا نشتغل بتأويله ، فنقول : له يد على ما أراده لاكيد المخلوقين . (١) .

يقول رضى الله عنه (لقينى أبو بكر فقال : كيف أنت ياحنظلة ؟ قال : قلت : نافق حنظلة) .

أن الصديق رضى الله عنه يسأله عن حاله فيجيبه بأنه نافق متحدثا عن نفسه بأسلوب الغيبة كما لو كان يتحدث عن شخص آخر ، ولو جرى الكلام على سياقه المعتاد لقال : قلت : نافقت بضمير المتكلم ، ولكنه عدل عن ذلك الى هذا الاسلوب وكأنه جرد من نفسه شخصا آخر يتحدث عنه ويقال لمثل هذا فى البلاغة التجريد .

والنفاق هو اظهار الخير وابطان الشر فان كان فى أصل الدين وهو الاعتقاد فهو كفر ، بل هو أخبث أنواع الكفر وأهله شر الناس منزلة عند الله قال سبحانه (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون ، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) (٢) .

وقال (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجدلهم لهم نصيرا) (٣) .

وان كان فى الاخلاق والسلوك فهو المعصية والفسوق . قال عليه الصلاة والسلام « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أئتمن خان) (٤) .

---

(١) عمدة القارى ١/١٤٤ كتاب الايمان. (٢) سورة البقرة (٨ـ١٠) .
(٣) سورة النساء (١٤٥) . (٤) متفق عليه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد كان الصديق رضى الله عنه يعلم من حنظلة متانة الدين ، وصدق اليقين ، والخلق الحميد ، والمسلك السديد ، ولهذا فقد تعجب حين سمعه يوجه لنفسه تلك التهمة فسأله عن سبب هذا القول فقال :

(سبحان الله ما تقول ؟)

واذ ذاك بسط الرجل شكايته ، وأوضح حكايته قال :

(نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات فنسينا كثيرا) .

ان الرجل يقارن بين حالته حين يكون فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم وهو يذكرهم بالنار والجنة : بالنار وأهوالها ، ولهيبها وسعيرها ، وحميمها وزقومها وسلاسلها وأغلالها ، واصطراخ أهلها واستغاثتهم ولا مغيث ، ويأسهم الذى لا أمل فيه ولا رجاء معه ـ ويذكرهم بالجنة ونعيمها وأنهارها وأشجارها ، وحورها وولدانها وقصورها ومساكنها، وما فيها من ألوان النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم ما يحله الله من رضوانه على أهلها . بتلك الالفاظ العذبة والاسلوب البليغ ، والبيان المشرق ، والقول الفصل ، فتكاد قلوبهم تنخلع خوفا ورهبا من النار ، وتوشك أن تذوب حنينا وشوقا الى الجنة ، فيزداد عزوفهم عن الدنيا ، وتشتد رغبتهم فى الآخرة ، وكأنهم رضوان الله عليهم فى خلال مجلسه الشريف يرون كل ذلك رأى العين .

يقارن هذه الحالة الكريمة السامية بحالته حين يغادر هذا المجلس ويعود الى بيته وزوجته وأولاده ومعايشه ، فيلاعب زوجته ويضاحك أولاده ، ويشتغل بأمر معاشه من زراعة أو تجارة أو حرفة ، فتتغير منه تلك الحالة المشرقة الصافية التى يكون عليها فى ذلك المجلس الكريم فهذا هو الذى ظنه نفاقا ، واتهم نفسه من أجله .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بهذه الحالة بل يشاركه فيها غيره ، وهذا واضح من تعبيره بما يدل ـ عادة ـ على الجمع (نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث) .

وحين سمع الصديق رضى الله عنه ذلك منه لم يشأ أن يفتيه بشيء يبين له أن ذلك غير مستنكر ، ولكنه اعترف بأنهم يشعرون بمثل ما يشعر به حنظلة وشفع كلامه بالحلف بالله فقال (فو الله انا لنلقى مثل هذا) وهذه الفاء تفصح عن شرط مقدر تقديره ان كان ما تقول نفاقا فليس خاصا بك والله أنا لنلقى مثل هذا الذى تلقاه .

ثم يقول حنظلة : (فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : نافق حنظلة) .

وينبغى أن نتأمل هنا صنيع حنظلة : فقد شكا تغير حاله الى الصديق رضى الله عنه ، فلما لم يجد عنده ما يسكن به نفسه ، ويطمئن اليه قلبه الا الاعتراف بأنهم يشعرون بمثل ما يشعر به بادر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه أمره ويشكو اليه حاله .

ومن الخير أن نعرف أن شعور المرء بمرضه حسيا كان أم قلبيا هو بداية السعى نحو العلاج والشفاء ، وما أجمل أن يراقب المؤمن قلبه فان رأى منه ميلا الى الخير ، وشغفا به ، واستعذابا لمذاقه ، واستراحة الى أهله ـ وكراهية للشر ، وعزوفا عنه ، ونفورا منه ، ومقتاله ، ولمن يقترفه أو يدعو اليه أو يجاهر به ، أو يهادن أهله فليستبشر وليحمد لله على سلامة قلبه وصلاح حاله ـ وان أحس بتغير قلبه عن ذلك الصراط السوى ، فليعلم أنه ينبغى عليه اصلاح قلبه ، والمبادرة الى علاجه ، والقلوب كالابدان ، تعتريها الاعراض والامراض ، والكدر والصفاء ، والحياة والموت كذلك ـ ودلائل ذلك من الكتاب الكريم والسنة المطهرة كثيرة ظاهرة . وكما أن لكل مرض من أمراض البدن دواء اذا أصابه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

برىء باذن الله فكذلك أمراض القلوب مثل النفاق والشك والكبر والعجب والشح والحسد والغفلة لها أدويتها التى وضعها الشارع الحكيم متمثلة فى الحقائق التى يقررها القرآن الكريم والسنة المشرفة ، وفى العبادات التى دعت اليها الشريعة كالصلاة والزكاة والصيام والحج ونحوها ــ والى ذلك يشير القرآن الكريم فى أكثر من مناسبة يقول الله تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) (١) ويقول (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) (٢) ويقول (قل هو للذين آمنو هدى وشفاء ..) (٣) .

وهذا الشعور مقياس لانسانية صاحبه ، ومعيار دقيق لايمانه ، لان من غفلة القلب وتبلد الحس أن يرتاع المرء ويفزع حين تنزل به مصيبة فى ماله أو معاشه ، ثم حين يصاب فى قلبه أو دينه لا تطرف له عين ، ولا يحس بألم ، ورحم الله ذلك الشاعر المسلم الذى أدرك ذلك المعنى وعبر عنه أفضل تعبير مبينا من هذا حاله هو الى البهائم أقرب منه الى الاناسى يقول :

أبنى ان من الرجال بهيمة فى صورة الرجل السميع المبصر

فطن بكل رزية فى ماله واذا أصيب بدينه لم يشعر

ولنتأمل كذلك صنيع الصديق رضى الله عنه : فقد كان فى وسعه بما له من سعة علم وطول صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطمئن قلب صاحبه ، ويهدىء من روعه ، ولكن ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين ظهرانيهم ، وما دام الوحى لا زال ينزل عليه ، وما دام يستطاع الحصول على الهدى من نبعه الفياض ، وأدبه الرفيع ،

---

(١) سورة يونس (٥٧) (٢) سورة الاسراء (٨٢) .

(٣) سورة فصلت (٤٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبصيرته النافذة فليلتمس الهدى والنور من مشكاته ، وهكذا يكون أدب العالم مع من هو أعلم منه ، وأكبر منه فضلا ومقاما .

ولقد يعرض للرجل أمر يحتاج فيه الى فتوى فيذهب الى واحد من أهل العلم فيجد عنده الفتوى التى يريدها ، ثم قد يعرض الامر على آخر فيعطيه الفتوى مشفوعة بنصيحة وتوجيه يسبقها أو يلحقها وهذا راجع الى أن من أهل العلم من يدرك بنور بصيرته مع السؤال مرضا يحتاج الى علاج ، ومنهم من يقف ادراكه عند حد السؤال ، ولله فى خلقه شئون ، وفوق كل ذى علم عليم .

(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟ قلت : يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ان لو تدومون على ماتكونون عليه عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات) .

يسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن سبب اتهامه لنفسه بالنفاق فيجيبه بمثل ما أجاب صاحبه من قبل ، فيقسم له الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بهذا القسم العظيم الذى يشعر بقصر أمله عليه الصلاة والسلام وبشدة شعوره بهيمنة ربه عليه ، وأن روحه بيد مولاه ان شاء قبضها وان شاء أبقاها أنه لو دامت له تلك الحالة الشريفة التى يغمرهم فيها الصفاء والاشراق ، وشدة الرغبة فيما عند الله والرهبة منه حين يكونون فى مجلسه الشريف ، وحين يكونون مستغرقين فى ذكر الله عز وجل بقلوب خاشعة ، وأذهان حاضرة ، وأكف ضارعة لبلغوا من الصفاء والاشراق أن تنزل عليهم الملائكة بادية ظاهرة لتصافحهم فى جميع أوقاتهم حتى فى الاوقات التى يغلب على الناس فيها الغفلة والفترة حين يكون المرء سائرا فى طريقه ، أو مضطجعا على فراشه ، واذا حصلت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصافحة فى هاتين الحالتين فحصولها فى غيرهما حين يكون المؤمن مقبلا على عبادة ربه ، مشغولا بمناجاة مولاه أوضح وأظهر .

على أنه ينبغى أن نفهم أن الذكر هنا ليس مقصورا على التسبيح والتحميد والتهليل والاستغفار ونحوها ، بل انه يشمل سائر العبادات التى يناجى المسلم فيها ربه ، ويستغرق بها فى ذكر مولاه كالصلاة وتلاوة القرآن الكريم ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من العبادات .

ثم ينصحه عليه الصلاة والسلام بأن يجعل لآخرته وقتا ولمعاشه وقتا فلا بد لمن يريد الله والدار الآخرة أن يتعلم وأن يتأدب وأن يحضر مجالس العلم والخير ، ولابد له من المواظبة على الطاعة والعبادة وأن ينفق حياته وصحته وقوته فيما يرفع شأنه حين يلقى ربه ــ كما أنه لا بد له من وقت ينفقه فى كسب قوته وقوت من يعولهم ، ولا بد له من وقت ينفقه بين أولاده وزوجته يضاحكهم ويلاعبهم وينصحهم ويعلمهم ويكرر صلى الله عليه وسلم لحنظلة ثلاث مرات تثبيتا لقلبه وترويحا لنفسه ، وأنه لا ينبغى له أن يؤمل دوام تلك الحالة الشريفة .

قال القرطبى رحمه الله : سنة الله فى عالم الانسان أن فعله متوسط بين عالم الملائكة وعالم الشياطين ، فمكن الملائكة فى الخير بحيث يفعلون ما يؤمرون ، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ومكن الشياطين فى الشر والاغواء بحيث لا يغفلون ، وجعل عالم الانسان متلوناً ، واليه أشار صاحب الشرع بقوله (ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) وقال فى حديث أبى ذر (وعلى العاقل أن تكون له ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفكر فيها فى صنع الله وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب) اهـ .

وفى الحديث طائفة من الفوائد والآداب غير ما تقدم فى غضون الحديث :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ فمنها ما كان عليه الصحابة الكرام من مراقبة لقلوبهم واتهام لانفسهم ومسارعة فى اتخاذ أسباب العلاج .

ـ ومنها ما كانوا عليه من حسن أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ ومنها فضل ذكر الله تعالى وفضل مجالس العلم والتذكير بالله تعالى والتى تقوم على الترغيب فى ثوابه ورضوانه والترهيب من عقابه وسخطه .

ـ ومنها أن من أفضل الوسائل فى اصلاح القلوب وتزكية النفوس تذكيرها بالنار والجنة الذى يقوم على تجلية الحقائق ـ بايضاح أحوال النار وأحوال أهلها ، وايضاح أحوال الجنة وأحوال أصحابها .

ـ ومنها فضل مجالسة الصالحين من أهل العلم والايمان واليقين ممن ينتقل المرء بمجالستهم من غفلة الى يقظة ومن فترة الى همة ومنها جواز رؤية غير النبيين للملائكة ، وأن المؤمن قد يصل الى حال يصافحه فيها أولئك الصفوة الكرام . وفيه غير ذلك ، والله أعلم وهو أجل وأحكم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم .

يقرر النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث طائفة من الحقائق التى يجب على كل مسلم أن يعرفها ، كما يسوق طائفة من النصائح فى الحرص عليها سعادة المرء فى دنياه وآخرته .

ـ فمن الحقائق التى يقررها هذا الحديث الشريف أن المؤمنين ليسوا عند ربهم سواء ، فان منهم القوى ومنهم الضعيف ـ منهم القوى الذى لا تزلزله بلية ، ولا تزعزعه فتنة ، تراه صابرا عند البلاء ، شاكرا لدى العطاء ، راضيا بالقضاء ، ينظر الى الامور بنور ربه وسنة نبيه ، يعظم ما عظمته الشريعة ويحقر ما حقرته ، ومنهم الضعيف الذى تزلزله النوازل ، وتؤثر فيه العواصف ، وتستيقظ هذه المعانى السامية فى قلبه تارة ، وترقد تارات .

ـ وتبعا لذلك اختلفت درجات المؤمنين عند ربهم ، واختلفت أحوالهم فى أنفسهم وبين اخوانهم ، فكان منهم النافع والأنفع ، ومنهم من يقل نفعه .

ـ ونحن حين نسمع قول النبى صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) فلا ينبغى أن نفهم هذه القوة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الا على أنها قوة الايمان واليقين ، والتى تثمر لصاحبها حب الله وخشيته ، والاستجابة لامره ، وتعظيم حرماته ، والوقـوف عند حدوده ، وموالاة أوليائه ، ومجانبة أعدائه ، فاذا انضم الى هذه القوة قـوة البـدن أو المـال أو الجـاه والمنصب فذلك كله سند لها ، وأمـا اذا خف الايمان فى القلب ، وفقد سيطرته على النفس ، وتوجيهه للسـلوك ، وضبطه للعواطف والمشاعر فان هذه القوى قد تصبح وبـالا على صاحبهـا ، لانها حينئذ تكون عونا له على الفسـوق والعصيـان ـ وتصير بذلك مجلبـة لغضب الملك الديـان .

ـ ومن الحقائق التى يقررها الحديث كذلك أنه ما من مؤمن الا وفيـه خير يتناسب مع مافى قلبه من ايمان ، ومع ما يثمره هذا الايمان من خلق كريم ، ويبعث اليه من عمل صالح ـ وفى هذا ايماء الـى أن من فقد شرف الايمان بربه الذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، وأسبغ عليه نعمة ظاهرة وباطنة فلا خير فيه مهما بدا للناس من حرصـه على الصالحات ، أو تحرزه من السيئات .

ـ ثم ان الحديث يشير الى أن الخير فى المؤمن عام وشامل ، فهو خير لنفسه ، وخير لاسرته وأقاربه ولاخوته وجيرانه ، ولسائر النـاس وهـو خير عند ربـه .

أما كونه خيرا لنفسه : فلأن مسارعته فى الخيرات ، وتعظيمه للحرمات وحرصه على البر ، وصلته للرحم ، وغيرته على الدين ، ورأفته ورحمتـه باخوانه المؤمنين : كل هذه أعمال صالحة ان عاد نفعها على الناس حينا ، فان ثوابها فى النهاية راجع الى صاحبها : يرفع درجاته ، ويكفر من سيئاته ، ويسبق الى الخـيرات ويبوئه روضـات الجنـات .

وأما كونه خيرا لاسرته وأقاربه واخوانه وجيرانه ولسائر الناس: فلأن خيره مرجو ، وشره مكفوف ، يدفعه ايمانه للاحسان ، ويصرفه عن الظلم والفسـوق والعصيان ، هو قدوة طيبة بأعماله وأقواله ، وأخلاقه وأحواله .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأما كونه خيرا عند الله فلأن الناس يوزنون عند ربهم بمقدار ما فى قلوبهم من ايمان به ، واستمساك بدينه ، واتباع لهدى نبيه صلى الله عليه وسلم ، أى بمقدار ما أثمر هذا الايمان من تقوى وعمل صالح يقول الله تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (١). وعن التقوى يقول الشاعر المسلم:

كرامة المرء عند الله تقواه　　لا المال يرفعه قدرا ولا الجاه

ويقول آخر :

ولست أرى السعادة جمع مال　　ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخرا　　وعند الله للأتقى مزيد

والمؤمن القوى أحب الى الله تبارك وتعالى من المؤمن الضعيف ، لان الله يحب العبد بمقدار ما فى قلبه من ايمان ، ويغدق عليه من بره ولطفه ، وكرمه وعونه ، وتأييده وتوفيقه وتيسيره فى الدنيا على حسب صلته به ، وبقدر استمساكه بدينه وغيرته على شريعته ، ويمنحه فى الآخرة من الكرامة وجزيل المثوبة على حسب ما قدم من ايمان وعمل صالح ـ وكلما ازداد الايمان بادر صاحبه بالمسارعة فى الخيرات والفرار من السيئات،وكلما كان العبد أسبق الى الخير والاحسان كلما كان أهلا لمزيد من عطاء ربه ، وفى الحديث القدسى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تبارك وتعالى قال :

(من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لاعطينه ، ولئن استعاذ بى لاعيذنه ... (٢) .

---

(١) سورة الحجرات : ١٣

(٢) رواه البخارى فى الرقاق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم ان محبة الله تبارك وتعالى لعبده المؤمن تستتبع محبة ملائكته وسائر خلقه من أهل السموات وأهل الارض ، يقول الله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) (١) ويقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : « اذا أحب الله عبدا نادى جبريل : ياجبريل انى أحب فلانا فأحبه ، قال : فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى أهل السماء : ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الارض . . » (٢)

ومن أراد أن يكون قوى الايمان فعليه بملازمة الاعمال الصالحة : باحكام الفرائض والقيام بها على أكمل أحوالها ، وأتم وجوهها ، والاستكثار من نوافل الصلاة والصدقة والذكر وسائر العبادات والقربات ، وملازمة الصدق مع الله سبحانه فى أقواله وأفعاله وأحواله ، وعليه أن يبتعد عن الشبهات والمحرمات ، وأن يوقظ قلبه ويحضر نية الخير فى كل ما يأتى ويذر وان كان من المباحات ، وليستعن على ذلك بمخالطة الصالحين ، وأهل الخير من العلماء العاملين ، الذين تشهد أحوالهم بصدقهم مع الله ، وصحة وراثتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من زهد فى الدنيا وعفة عما فى أيدى الناس ، وتضلع من الكتاب والسنة ، ورأفة ورحمة بالخلق عامة ، وبالمؤمنين خاصة .

ـ ولقوة الايمان علامات تدل عليها : فمن ذلك الاحسان الى الناس واحتمال أذاهم ، ومقابلة السيئة بالحسنة ، ومنها الصبر على البلاء والشكر على العطاء ، ومنها ايثار رضا الله سبحانه وعدم المبالاة فى سبيل ذلك برضا الناس أو سخطهم ، ومنها تعظيم ما عظم الله وان كان فى نظر الناس حقيرا ، وتهوين ما حقر الله وان كان فى نظر الناس عظيما .

هذا بعض ما يتعلق بالحقائق التى أرساها النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث ـ أما النصائح التى قدمها الينا ، وأوصانا بها ، وحثنا

---

(١) سورة مريم (٩٦) .

(٢) متفق عليه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليها فهى الوسيلة المثلى لتحقيق الايمان القوى ، واليقين الصادق ، وبالتالى الظفر بمحبة الله تبارك وتعالى ومحبة أحبابه وسائر خلقه .

ـ فقد أوصى صلى الله عليه وسلم المؤمن بأن يحرص على ما ينفعه ، وهذا النافع قد يكون أمرا من أمور الدنيا كمال أو منصب أو جاه ونحو ذلك مما تهواه النفوس ، وتهفو اليه القلوب ، وقد يكون أمرا من أمور الآخرة كصلاة ، أو صدقة ، أو سعى فى مصلحة قريب أو فقير ، أو عيادة مريض أو اتباع جنازة ، أو تحصيل علم نافع ... وكلاهما مطلوب ، غاية ما هنالك أن على المؤمن اذا ما تعارضت مصالح الدنيا والآخرة أن يؤثر جانب الله على نفسه وهواه ، وأن يستحضر نية الخير والقربة فيما يتعلق بشئون حياته ومعاشه،وقد بين عليه الصلاة والسلام ان المباحات تنقلب بالنية الطيبة والقصد السديد الى قربات يقول عليه الصلاة والسلام : وانك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرت بها حتى اللقمة تضعها فى «فِي» امرأتك»

ويقول « اذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها كانت له صدقه » وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه أنه قال : مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه من جلده ونشاطه فقالوا : يارسول الله لو كان هذا فى سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان كان خرج يسعى على ولده صغار فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان) . قال المنذرى رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح .

الا أنه ينبغى للعاقل أن يكبح جماح نفسه ، ويحذر الانهماك التام فى شئون الدنيا ، فذلك مضيعة لوقته ، وشتات لقلبه ، ثم هو نذير فقر واقلال عند القدوم على ذى الجلال وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه مرفوعا « ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة الا من قال بالمال هكذا وهكذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكـذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ماهم ... » (١) .

ـ ثم ان الحرص على النافع لا يوفق له العبد أولا،ولا يؤتى ثمراته ثانيا الا بمعونة الله وتوفيقه ، فعلى العبد وهو بصـدد الحـرص على النافع أن يستعين بربه ، ويعظم التوكل عليه ، ويعلم أن الامور كلها بيده سبحانه ، فما يسره وأعان عليه فهو اليسير ، وما منعه ، فلا مطمع لاحد فى تناوله أو الوصول اليه قال تعالى : (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لهـا ، وما يمسك فلا مرسـل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم) (٢) وقال : (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) (٣) وفى الحديث الشريف (... وأعلم أن الامة لواجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء كتبه الله لك ، وان اجتمعوا أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء كتبـه الله عليك ، رفعت الاقـلام ، وجفت الصحف) (٤) .

ويقـول الشـاعر الحكيم :

اذا لم يكن عون من الله للفتى .: فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

ـ ثم ان العبد قد يحرص على ما يراه نافعا ، مستعينا بمولاه الـذى بيده ملكوت كل شىء ، ولكن الله سبحانه ـ وله الحكمة البالغة ـ لا ينيله مبتغاه ، ولا يبلغه مناه ، فعليه فى هذه الحالة ان يرضى ويسلم ويحسن التفويض الى الله ولا يستسلم للعجز والكسـل والتقاعد ، بـل عليـه أن يعاود السعى فى الخير مرات ومرات ، ويديم الاستعانة بربه فى عمـوم الاوقات ، وألا يجعل شيئا من اليأس يتسرب الى قلبه ، وألا يترك لوساوس النفس ونزغات الشيطان سبيلا لتثبيطه عن الخير،وصرفه عن النافع المفيد، فقد يغلق الله بابا ليفتح أبوابا ، وقد يحرمك قليلا ليمنحك جزيلا ، وينبغى أن نذكر دائما قول الشـاعر :

---

(١) متفق عليه . (٢) سورة فاطر (٢)

(٣) سورة يونس (١٠٧) . (٤) رواه الترمزى وقال حديث حسن صحيح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته :• ومدمن القرع للابواب أن يلجا

ـ ثم ان العبد فى خلال سعيه قد يقصر فى بعض الاسباب ، ويتهاون فى احكام ما كان يجب عليه احكامه من أمور ، وتكون النتيجة المحتومة لذلك أن يخيب له مسعى ، أو تنزل به بلية أو يتعرض لموقف يلوم فيه نفسه ، ويندم فيه على تقصيره واهماله فيقول الطالب مثلا بعد ظهور نتيجة الامتحان: لو ذاكرت من أول العام لحصلت على مجموع كبير أتمكن به من تحقيق أمنيتى •

ويقول أولياء المريض : لو بادرنا باستدعاء الطبيب لما استشرى الداء وعز الدواء ، أو يقولون : لو ذهبنا به من أول الامر الى فلان لما كان الذى كان ، وهكذا مما نسمعه ونلمسه عندحلول البلاء ونزول القضاء ،

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا الكلام لانه لايجدى قائله نفعا ، ولا يدفع عنه ضرا ، ولان الامور التى مضت وانقضت لن تعود الى أحد حتى يعاود مباشرة الاسباب التى قصر فيها ، ثم ان الاسباب والمسببات مقدرة أزلا ، ولو شاء الله أن تتغير النتيجة لوفق الى الاسباب التى تؤدى اليها ، ويحسم القرآن الكريم هذه القضية بوضوح وجلاء ، يقول الله تبارك وتعالى (ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور) (١) •

وقد قال بعض شراح الحديث : انه ربما يشكل عليه قول النبى صلى الله عليه وسلم « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما اهديت ، ولولا أن معى الهدى لتحللت » (٢) •

والجواب أن كراهة استعمال «لو» انما فى التحسر والتلهف على

---

(١) سورة الحديد (٢٢ ، ٢٣) (٢) حديث صحيح متفق عليه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما فات من أمور الدنيا لما فى ذلك من فقدان التوكل ، وأما استعمالها فى تمنى القربات واصابة الكمال فيها كما فى هذا الحديث فلا كراهة فيه ، وكذلك استعمالها فى مجرد التعليق قال تعالى « ولو انما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » (١) .

(١) سورة لقمان (٢٧) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنا عند ظن عبدى بى

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ هم خير منهم ، وان تقرب منى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة » (١) .

الشرح والبيان

يتضمن هذا الحديث القدسى الكريم دعوة حثيثة من الله تبارك وتعالى لعباده أن يحسنوا الظن به ، ويعظموا الرجاء فى فضله ورحمته ، كما يتضمن حثهم على المداومة على ذكره ، والحرص على طاعته ، والمسارعة فى مرضاته . ويبين سبحانه الثمرات التى تترتب على الاستجابة لهذه الدعوة الربانية الكريمة من تحقيقه لعباده ما يرجون ، وانجائهم مما يخافون ويحذرون ، وتوفيقهم الى الخيرات ، والظفر برفيع الدرجات ، بتزكية نفوسهم وتطهير قلوبهم ، واينـاس أرواحهم ، وتصفية سرائرهم وتنوير بصائرهم ـ الى غير ذلك من عطاء لا يقف عند حد ، ولا ينتهى الى غاية .

وهذا الحديث واحد من الاحاديث القدسية ، وهى أحاديث ينسبها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الى رب العزة جل وعلا ، ويقال لها كذلك أحاديث الهية وربانية ، وقد اختلف فيها أهل العلم : هل هى من كلام الله تعالى ؟ أو من كلام رسوله صلى الله عليه وسلم ؟.

---

(١) متفق عليه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فذهب كثير منهم الى أنها من كلام الله تعالى لنسبتها الى الله تعالى ؛ واشتمالها على ضمائر التكلم الخاصة به سبحانه ، وانفرادها بهذه الاسماء التى أطلقت عليها .

وذهبت طائفة منهم الى أنها من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم كغيرها من الاحاديث النبوية ، وقد نسبها عليه الصلاة والسلام الى ربه دون غيرها لمزيد الاهتمام بها ، وتوجيه النفوس لما تضمنته من حكم وفضائل وآداب .

ولبسط هذا الكلام وتوجيهه وترجيح الراجح منه وبيان الفرق بين هذه الاحاديث وبين القرآن الكريم على القول الاول مقام آخر ، فالى شرح الحديث .

(يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى)

قيل : معناه : بالغفران حين يستغفر اذا ظنه ، وبالقبول اذا ظنه حين يتوب ، وبالاجابة اذا ظنها حين يدعو ، وبالكفاية اذا ظنها حين يستكفى ، لان هذه صفات لا تظهر الا اذا أحسن ظنه بالله تعالى ، وكذا بقبول العمل عند فعله ، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (أدعو الله وأنتم موقنون بالاجابة) (١)

فينبغى للمستغفر والتائب والداعى والعامل أن يأتوا بذلك موقنين بالاجابة بوعد الله تعالى الصادق ، وأما لو فعل هذه الاشياء وهو يظن ألا تقبل ولا تنفعه فذلك جهل وغرور ، ويجر الى مذهب المرجئة (٢) وقد

---

(١) قطعة من حديث رواه الترمذى والحاكم وهو حديث فيه ضعف وله شواهد ـ راجع الترغيب والترهيب٢/ .

(٢) المرجئة : فرق يجمعها القول بأنه لا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال صلى الله عليه وسلم ، الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله امانى (١) .

وقيل : المراد به الحث على الرجاء ، وتأميل العفو ، والتجاوز عن الهفوات ــ قال النووى . هذا أصح .

والظن هو ترجيح أحد الجائزين لسبب يقتضى الترجيح ، فاذا خلا عن السبب فانما هو غرور وتمن ، فمن ظن مثلا أن الله يكرمه ويتجاوز عنه ، ويلحقه بخيار عباده ، وكانت له أعمال صالحة صادرة عن صدق واخلاص يرجو بها رحمة ربه ، ويؤمل بها فى رضوانه واحسانه فظنه فى موضعه ، ومن ظن مثل ذلك مع التقصير والمخالفة وقلة الاخلاص ، والافتقار الى الصدق فهذا هو الغرور .

واحسان الظن بالله تبارك وتعالى انما يفهم فى ضوء نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، وهى متضافرة على اعتبار العمل فى القبول ثم فى المنزلة يقول الله تعالى (ان الابرار لفى نعيم * وان الفجار لفى جحيم (٢) .

ويقول (من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد) (٣) .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » (٤) والحديث الذى نحن بصدد الكلام أكبر شاهد على ذلك وسيأتى مزيد ايضاح لهذا .

(وأنا معه حين يذكرنى) .

---

(١) رواه الترمذى والحاكم . حسنه الترمذى وصححه الحاكم ، وتعقبه الذهبى .
(٢) سورة الانفطار (١٣ ، ١٤) .
(٣) سورة فصلت (٤٦) .
(٤) مسلم فى كتاب الذكر والدعاء .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أى بالرعاية والحفظ ، والتوفيق والتأييد ، والايناس والطمأنينة والنصر والتثبيت .

وما من حالة يكون عليها العبد الا ولها ذكر يتناسب معها ، ويوجه الى حكمة الله وعطائه فيها ، وحظ القلب من تدبرها .

والمتأمل فى الاذكار الواردة عن سيد الابرار محمد صلى الله عليه وسلم يجد فيها زادا طيبا ، وخيرا كثيرا ، فهناك ذكر حين يهم المسلم بالنوم ، ثم حين يستيقظ من منامه ، وهناك ذكر له حين يلبس ثوبا جديدا وذكر حين يبدأ فى تناول طعامه ، ثم حين يفرغ منه ، وذكر حين يقضى حاجته ثم حين يغادر الخلاء ، وذكر حين يخرج من بيته ثم حين يدخله ، وذكر حين يركب دابة أو سفينة ... وهكذا أذكار متعددة وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار القرآن الكريم الى كثير منها جاءت على ألسنة أنبيائه والصالحين من عباده .

ـ روى البخارى عن حذيفة وأبى ذر رضى الله عنهما انهما قالا : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه قال : باسمك اللهم أحيا وأموت ، واذا استيقظ قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور » .

« الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة(١)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع » (٢) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع مائدته قال « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولامودع ولا مستغنى عنه ربنا (٣) .

---

(١) ابن السنى ـ الاذكار صـ ١٥ .
(٢) رواه أبو داود ، قال النووى : حديث حسن . (٣) رواه البخارى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى رواية كان اذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذى كفانا وأروانا غير مكفى ولا مكفور ـ قال النووى فى الاذكار : مكفى بفتح الميم وتشديد الياء . قال صاحب مطالع الانوار فى تفسير هذا الحديث : المراد بهذا المذكور كله الطعام واليه يعود الضمير ـ قال الحربى : فالمكفى الاناء المقلوب للاستغناء عنه كما قال غير مستغنى عنه أو لعدمه ، وقوله (غير مكفور) أى غير مجحود نعم الله سبحانه وتعالى فيه ، بل مشكورة غير مستور الاعتراف بها والحمد عليها ، وذهب الخطابى الى أن المراد بهذا كله البارى سبحانه وتعالى ، وأن الضمير يعود اليه وأن معنى قوله (غير مكفى) أنه يطعم ولا يطعم وقوله (ولا مودع) أى غير متروك الطلب منه والرغبة اليه .

وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى ليرضى عن العبد يأكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها » (١) . انتهى كلام النووى .

وكان عليه الصلاة والسلام يقول عند دخول الخلاء « اللهم انى أعوذبك من الخبث والخبائث » (٢) وكان اذا خرج من الخلاء يقول :

« الحمد للّه الذى أذاقنى لذته ، وأبقى فى قوته ، وصرف عنى أذاه » (٣) وكان اذا خرج من بيته قال « باسم الله ، توكلت على الله ، اللهم انى أعوذبك أن أضل أو أضل أو أذل او اذل او اظلم او اظلم أو أجهل أو يجهل على » (٤) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لانس « اذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك » (٥) .

---

(١) رواه مسلم . (٢) متفق عليه .
(٣) رواه النووى فى الاذكار ـ وعزاه لابن السنى والطبراتى .
(٤) قال النووى فى الاذكار : حديث صحيح رواه أبو داود الترمزى والنسائى وابن ماجه .
(٥) الترمزى وقال : حديث حسن صحيح .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه أنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « اذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، واذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت ، واذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء » (١) .

وعن على بن ربيعة أنه قال : شهدت على بن أبى طالب رضى الله عنه أتى بدابته ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال : بسم الله ، فلم استوى على ظهرها قال : الحمد لله الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وانا الى ربنا منقلبون ، ثم قال : الحمد لله ثلاث مرات ، ثم قال اللّه أكبر ثلاث مرات ، ثم قال : سبحانك انى ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت ، ثم ضحك فقيل يا أمير المؤمنين من أى شىء تضحك ، قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت ثم ضحك فقلت يارسول الله من أى شىء ضحكت ؟ قال أن ربك سبحانه يعجب من عبده اذا قال أغفر لى ذنوبى يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيرى . رواه أبو داود والترمذى والنسائى وهذا لفظ رواية أبى داود قال الترمذى : حديث حسن ، وفى بعض النسخ : حسن صحيح ـ (٢) .

وعن الحسين بن على رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمان لامتى من الغرق اذا ركبوا أن يقولوا : بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم ـ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون (٣) .

فذكر الله تبارك وتعالى عند حصول النعم والتمتع بها يوجب شكرها وحمد لله عليها والشكر يستوجب المزيد قال تعالى (واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد) (٤)

---

(١) صحيح مسلم . (٢) الاذكار للنووى صـ ١٤٩ .
(٣) ابن السنى ـ الاذكار صـ ١٥٠ (٤) سورة ابراهيم (٧) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذكر الله عند البلاء يعين على الصبر والتحمل والرضا ، وعاقبة ذلك على الصابرين حميدة يقول تعالى « وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » (١) .

وذكر الله عند الدعوة الى الطاعة يعين على المسارعة اليها ، والدوام عليها ، والاطمئنان بها ، والسكينة فيها ، وابعادها عما يضعفها من الرياء فيها ، أو الانشغال عنها .

وذكر الله عند ما تعرض المعصية نفسها ، وتعرض لذاتها العاجلة يتضمن الخشية من الله والارعواء عما نهى عنه والفرار من مواطن سخطه وأسباب عذابه (قال معاذ الله ، انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون) (٢) .

وذكر الله فى الرخاء يستلزم دوام الخشية والمراقبة ، ويجعل العبد أهلا لان يحفه الله بلطفه حين تنزل به شدة ، ويحوطه بعنايته حين تلم به ملمة (تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة) .

وذكر الله عند الكرب كفيل بكشفه وتفريجه اذا صدقت النية ، وصح الاتجاه لمن بيده ملكوت كل شىء (وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (٣) (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم، وكذلك ننجى المؤمنين) (٤) .

(فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى)

---

(١) سورة البقرة (١٥٥، ١٥٦، ١٥٧) . (٢) سورة يوسف (٢٣) .
(٣) سورة الانبياء (٨٣ ، ٨٤) . (٤) سورة الانبياء (٨٧، ٨٨) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تطلق النفس على معان كثيرة ، قال المازرى رحمه الله : النفس تطلق على الدم ، وعلى نفس الحيوان ، وعلى الذات ، وعلى الغيب ، ومنه قوله تعالى :

(تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) (١) أى فى غيبك ، والاولان يستحيلان فى حقه تعالى ، والآخران يصح أن يرادا ، واذن فمعنى ذكرته فى نفسى أى فى ذاتى ، ولله سبحانه وتعالى ذات حقيقه .

ويصح أن يكون المعنى أن العبد اذا ذكر الله سبحانه وتعالى خاليا آتاه من الخير مالا يطلع عليه أحد ، كما قال تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) (٢) فأخبر تعالى بأنه انفرد بعلم ما يجازى به المتقين . انتهى .

(وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ هم خير منهم)

يعنى بهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام ، والمعنى نوه باسمه فيهم ، فيكون منهم الدعاء والاستغفار له وحسن الثناء عليه .

قال الامام النووى رحمه الله : وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، واحتجوا أيضا بقوله تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (٣) قالوا : فالتقييد بالكثير احتراز من الملائكة .

قال : مذهب أصحابنا وغيرهم أن الانبياء أفضل من الملائكة لقوله تعالى فى بنى اسرائيل (وفضلناهم على العالمين) (٤) والملائكة من العالمين ، ويتأول هذا الحديث على أن الذاكرين غالبا يكونون طائفة

---

(١) سورة المائدة (١١٦) .
(٢) سورة السجدة (١٧) .
(٣) سورة الاسراء (٧٠) .
(٤) سورة الجاثية : (١٦) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا نبى فيهم ، فاذا ذكره الله تعالى فى خلائق من الملائكة كانوا خيرا من تلك الطائفة .

وقد عقد العلامة ابن كثير القرشى فى (البداية والنهاية) فصلا لهذه المسألة فقال رحمه الله :

وقد اختلف الناس فى تفضيل الملائكة على البشر على أقوال ، فأكثر ما توجد المسألة فى كتب المتكلمين ، والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم .

وأقدم كلام رأيته فى هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص أنه حضر مجلسا لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر : ما أحد أكرم على الله من كريم بنى آدم ، واستدل بقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) (١) ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد . فقال عراك بن مالك : ما أحد أكرم على الله من ملائكته : هم خدمة داريه ، ورسله الى أنبيائه . واستدل بقوله تعالى (ما نهاكم ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) (٢) فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظى : ما تقول أنت يا أبا حمزة ؟ فقال : أكرم الله آدم فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له الملائكة ، وجعل من ذريته الانبياء والرسل ، ومن تزوره الملائكة ، فوافق عمر بن عبد العزيز فى الحكم واستدل بغير دليله ، وأضعف دلالة ما صرح به من الآية وهو قوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مضمونة أنها ليست بخاصة بالبشر فان الله قد وصف الملائكة بالايمان فى قوله (ويؤمنون به) (٣) وكذلك الجان فى قوله (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به (٤) (وانا منا المسلمون) (٥) . قلت : وأحسن ما يستدل به

---

(١) سورة البينة (٧) .
(٢) سورة الاعراف (٢٠) .
(٣) سورة غافر (٧) .
(٤) سورة الجن (١٣) .
(٥) سورة الجن (١٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فى هذه المسألة ما رواه عثمان بن سعيد الدرامى عن عبد الله بن عمرو مرفوعا وهو أصح قال : لما خلق الله الجنة قالت الملائكة :

ياربنا اجعل لنا هذه نأكل منها ونشرب فانك خلقت الدنيا لبنى آدم ، فقال الله : لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان . انتهى .

وأقول : ان تضعيف ما استدل به عمر بن عبد العزيز من آية سورة البنية بأن الملائكة وصفوا كذلك بالايمان ومثلهم الجان غير مسلم لمن يقول به ، ذلك أن سياق الآية يدل على أن المراد بالذين آمنوا فيها انما هم المؤمنون الذين يصح منهم الايمان ، ويتصور منهم خلافه ، بدليل المقابلة فى السورة بينهم وبين الذين كفروا والثناء على المؤمنين وذم الكافرين ، وهذا خاص بالبشر وحدهم دون الملائكة .

ثم قد يقال : ان الآية بهذا الفهم لا تمنع دخول الجان بل تشملهم لانه يصح منهم الايمان والكفر ، فكيف تفهم أن البشر أفضل من الجن ؟ ويجاب بالدليل الذى استدل به محمد بن كعب القرظى بأن الله أكرم آدم بأن خلقه بيده وأسجد له ملائكته ، وخصه بأن يكون من ذريته الانبياء والرسل ومن تزوره الملائكة . ثم انه يبدو أن هناك اجماعا على تفضيل بنى آدم على الجن بدليل أنه لم يختلف فى هذه المسألة أحد .

ثم لنعلم أن هذا الخلاف انما هو فى غير النبى محمد عليه الصلاة والسلام لاجماع الامة على أنه أفضل الخلق على الاطلاق .

(وان تقرب منى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة) .

تقرب العبد من ربه ، وتقرب الله اليه ليس من الأمور الحسية التى تدرك بالاشبار ، أو تقاس بالاذرع والامتار ، وانما هما من الامور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعنوية ، فتقربنا من الله انما هو بالحرص على طاعته ، والمسارعة فى مرضاته ، والفرار من مساخطه ، وموالاة أوليائه ، ومعاداة أعدائه ، وذلك بأداء الفرائض واقامتها على أتم الوجوه وأكملها ، والتزود من النوافل : من ركعات نصليها ، وصدقات نعطيها ، ومعروف نأمر به ونحض عليه ، ومنكر ننهى عنه ونحذر منه ، ورحم نصلها ، وجيران نحسن اليهم ، وأخ فى الله نزوره ، ومريض نعوده .. الى غير ذلك من ألوان التقرب .

وتقرب الله الينا انما هو تقريبه لنا ، واعانتنا على الخير ، بتحبيبه الينا ، وتيسيره علينا ، وبسطه لارزاقنا ، وتفريجه لكروبنا واجابته لدعائنا ، وقضائه لحاجاتنا : والهامنا رشدنا ، وايناسه لارواحنا ، وقذفه للسكينة فى قلوبنا ، وحفظنا من وساوس النفس ونزغات الشيطان ، وترضيتنا بالقضاء ، وتصبيرنا على البلاء وايقاظ قلوبنا وألسنتنا لتلهج بشكره عند العطاء ... الى غير ذلك من عطاء للعباد بحسب أحوالهم .

وحول هذا المعنى بشقيه يأتى الحديث القدسى الذى أخرجه الامام البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشى أحب الى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، وقدمه التى يسعى بها ، ولئن سألنى لاعطينه ، ولئن استعاذنى لاعيذنه » (١) .

وتأتى الآيات الكريمة (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) (٢) (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور) (٣) (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (٤) .

---

(١) رواه البخارى فى الرقاق

(٢) سورة محمد صلى الله عليه وسلم (١٧) .

(٣) سورة الشورى (٢٣) . (٤) سورة الطلاق (٢ و ٣) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال الامام النووى رحمه الله : هذا الحديث من أحاديث الصفات ، ويتحيل ارادة ظاهرة ، ومعناه من تقرب الى بطاعتى تقربت اليه برحمتى والتوفيق والاعانة وان زاد ذدت،فان أتانى يمشى وأسرع فى طاعتى أتيته هرولة ، أى صببت عليه الرحمة وسبقته ولم أحوجه الى المشى الكثير فى الوصول الى المقصود ، والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه .

ولبعضهم استشكال فى هذا المقام يورده ويجيب عنه فيقول :

ظاهر الحديث أن الله تعالى يجازى عن الحسنة بمثلها لان الذراع شبران ، والباع ذرعان ــ وحينئذ يعارض مضاعفة الحسنة الى عشر الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة الوارد فى القرآن الكريم .

والجواب أن الحديث لم يخرج مخرج بيان مقدار الاجر حتى تتحقق المعارضة ، وانما خرج مخرج تحقيق حصول الاجر وسرعة ثبوته ، فالمعنى أن الذراع والباع كناية عن القدر الأعلى ، فالمعنى من تقرب منى شبرا جازيته بأعلى ، ثم يفسر الاعلى بالضعف المذكور .

فالحديث من قبيل الاستعارة التمثيلية ، وقد استعمل فى تقريب مسافة السلوك المعنوية ما هو مستعمل فى تقريب المسافة الحسية ، لان ألف النفوس بالمحسوس أشد ، ولان ابراز المعقول فى صورة المحسوس يؤكده فى النفس ويقويه .

ويؤخذ من الحديث فضل احسان الظن بالله تبارك وتعالى ، وفضل ذكر الله تعالى والتذكير به ، والعطاء الجزيل التى يظفر به الذاكرون ، وأن الله يعطى عباده من لطفه وبره بمقدار ما يتقربون به من صالحات ، وكما يقول بعض الصالحين : اذا أردت أن تعرف منزلتك من ربك فانظر منزلة الله منك .

والله ولى التوفيق ، وهو الهادى لاقوم طريق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحلال بين والحرام بين

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الحلال بين وان الحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وان لكل ملك حمى ، الا وان حمى الله فى أرضه محارمه ، ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » (١) .

الشرح والبيان

قال الامام النووى رحمه تعالى : أجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده ، وأنه أحد الاحاديث التى عليها مدار الاسلام . قال جماعة : هو ثلث الاسلام ، وان الاسلام يدور عليه وعلى حديث (الاعمال بالنية) وحديث (من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه) . قال أبو داود السختيانى : يدور على أربعة أحاديث : هذه الثلاثة وحديث (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) وقيل حديث (أزهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس) .

قال العلماء : وسبب عظم موقعه أنه صلى الله عليه وسلم نبه فيه على اصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها ، وأنه ينبغى ترك المشتبهات ، فانه سبب لحماية دينه وعرضه ، وحذر من مواقعة الشبهات ، وأوضح ذلك بضرب المثل بالحمى ، ثم بين أهم الامور وهو مراعاة القلب ، فقال صلى الله عليه وسلم « ألا وان فى الجسد مضغة »

---

(١) رواه الشيخان وهذا لفظ مسلم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فبين صلى الله عليه وسلم أن بصلاح القلب يصلح باقى الجسد ، وبفساده يفسد باقيه . انتهى .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس) فمعناه أن الاشياء التى يتعاطاها الناس من مآكل ومشارب ومناكح وتجارات وحرف ونحوها ثلاثة أقسام :

فمنها ما هو حلال بين لكل أحد كالخبز والفواكه والزيت والعسل والسمن والنكاح بعقد شرعى معلن ، والتجارة فى المباحات كالحبوب والثياب ، والاشتغال بالحرف المباحة التى لا تجر الى حرام .

ومنها ما هو حرام بين كالخمر والميتة والخنزير والبول والدم المسفوح والربا ونحوه من المعاملات الفاسدة ومن ذلك استعمال الشعر المستعار والاتجار فيه والتكسب بوصله للراغبات أو التكسب بتصفيف الرجال لشعر النساء وكيه : كل هذا حرام بين الحرمة وان خفى حكمه على بعض من يمارسه لبعدهم عن الدين وشدة شغفهم بالدنيا ومظاهرها ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة ، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله » (١) .

ومنها ما اشتبه أمره على كثير من الناس فليست حرمته واضحة وليس حله بينا ولهذا لا يعرف حكمها كثير من الناس ، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب وغيره ، فاذا تردد الشىء

---

(١) متفق عليه ، والواصلة هى التى تصل شعرها أو شعر غيرها بشعر آخر والمستوصلة التى تسأل من يفعل لها ذلك ، والواشمة هى التى تفعل الوشم ، والمستوشمة هى التى تسأل من يفعل لها ذلك ، والنامصة هى التى تأخذ من شعر حاجب غيرها وترققه ليصير حسنا ، والمتفلجة هى التى تبرد من أسنانها ليتباعد بعضها عن بعض قليلا وتحسنها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بين الحل والحرمة ولم يكن نص ولا اجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعى فاذا الحقه به صار حلالا أو حراما ، وقد يكون دليله غير خال عن الاحتمال ، فيظل الاشتباه قائما فيكون الورع تركه وما لم يظهر فيه للمجتهد شيء وهو مشتبه فهل يؤخذ بالحل أو بالحرمة أو يتوقف فيه ؟ ثلاثة مذاهب حكاها القاضى عياض عن أصحاب الاصول والظاهر أنها مخرجة على الخلاف المعروف فى حكم الاشياء قبل ورود الشرع ، وفيه أربعة مذاهب : أحدها ـ وهو الاصح ـ أنه لايحكم بتحليل ولا تحريم ولا اباحة ولا غيرها لان التكليف عند أهل الحق لا يثبت الا بالشرع ، والثانى أن الحكم الحل أو الاباحة ، والثالث المنع ، والرابع الوقف .

وقد ساق العلماء للمشتبهات أمثلة كثيرة ، فمن المأكولات لحوم الخيل والحمر الاهلية وبعض الاشربة التى وقع فيها الخلاف بين الفقهاء ، ومن الانكحة ما تم بعقد عرفى غير معلن ، ومن التجارات بيع العنب لمن يعلم أنه سيتخذه خمرا ... والى جانب ذلك فهناك ألوان من المعاملات المالية يحاول بعض المنتسبين الى العلم القول بأنها من المشتبهات كالفوائد الربوية على الودائع ودفاتر التوفير وعقود التأمين ـ مع أن القرآن صريح فى حرمة الربا بكافة أسمائه .

قال صاحب فتح المبدى : وحاصل ما فسر به الشبهات أربعة : أحدها ما تعارض فيه الادلة ثانيها ما اختلف فيه العلماء ، وهذا منتزع مما قبله ، ثالثها أن المراد به قسم المكروه لانه يجتذبه جانبا الفعل والترك . رابعها أن المراد به المباح ، ولا يمكن قائل هذا أن يحمله على متساوى الطرفين من كل وجه ، بل يمكن حمله على ما يكون من قسم خلاف الاولى ، بل يكون متساوى الطرفين باعتبار ذاته ، راجح الفعل أو الترك باعتبار أمر خارج (١) وقد كان بعضهم يقول : المكروه

---

(١) كالتنعم بطيب الأطعمة ولين اللباس وحسن المساكن ، هو مباح باعتبار ذاته ، وقد يكره باعتبار مايؤدى اليه من الركون الى الدنيا وكثرة =

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عقبة بين الحلال والحرام فمن استكثر من المكروه تطرق الى الحرام وفى الحديث « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » (١) بضم اليـاء وفتحها من الريبة وهى الشك والتردد أى اذا شككت فى شىء فدعـه ، وقـد روى مرفوعا « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مـا لا بأس بـه حذرا ممـا بـه بـأس » (٢) .

وقد أورد الامام البخارى رحمه الله وأثابه عقب هذا الحديث فى كتاب البيوع فى باب تفسير الشبهات طائفة من الاحاديث تلقـى أضواء كاشفة على الموضوع ، وتقدم له الامثلة :ـ

فمن ذلك حديث الرجل الذى تزوج امرأة فجاءت امرأة فزعمت أنها أرضعته وزوجته فأشار عليه النبى صلى الله عليه وسلم بفراقها .. وقـال لـه : كيف وقـد قيـل ؟ .

ومن ذلك حديث ابن وليدة زمعة الذى تنازعه سعد بن أبى وقاص لان أخاه عتبه ادعاه وعهد اليه فيه وعبد بن زمعة لانه ولد على فراش أبيـه زمعة وأن النبى صلى الله عليه وسلم قضى بـه لعبـد بن زمعـة بالفراش ، ثم قال لسورة : احتجبى منه لما رأى من شـبه بعتبـة فمـا رآها حتى لقى الله تعالى .

ومن ذلك حديث عدى بن حاتم وقوله أجد مع كلبى كلبا آخـر لا أدرى أيهمـا أخذ قال « لا تأكل » .

ومن ذلك حديث التمرة التى كان الرسول صلى الله عليه وسـلم

= الحساب يوم القيامة ، وكالقبلة للصائم فإنها مكروهة باعتبار مايخاف منها وإن كانت مباحة لذاتها .

(١) رواه الترمذى وقال حديث صحيح . (٢) رواه الترمذى وقال : حـديث حسـن .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجدها على فراشه فيقول « لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لاكلتها » .

كما أورد رحمه الله عقب هذا طائفة من الاحاديث تحت عنوان (باب من لم ير الوساوس ونحوها من الشبهات) ذكر فيه حديث الرجل الذى يخيل اليه أنه يجد الشىء فى الصلاة فقال عليه الصلاة والسلام « لا ينتقل أو لا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا » وحديث عائشة رضى الله عنها أن قوما قالوا يارسول الله ان قوما يأتوننا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم « سمو عليه وكلوه » .

لذلك فرق العلماء بين ما هو من الشبهات وما هو من الوسوسة ، وهو ما يقتضيه تجويز أمر بعيد كترك النكاح من نساء بلد كبير خوفا أن يكون له فيها محرم وترك استعمال ماء فى صحراء لجواز عروض النجاسة أو غسل ثوب مخافة طرو نجاسة لم يشاهدها الى غير ذلك مما يشبهه فهذا ليس من الورع ، قال القرطبى : الورع فى مثل هذا وسوسة شيطانية اذ ليس فيها من معنى الشبهة شىء وسبب الوقوع فى ذلك عدم العلم بالمقاصد الشرعية .

وأما قوله (استبرأ لدينه وعرضه)

أى طلب البراءة فى دينه من النقص وعرضه من الطعن فيه ، وفى قوله « لدينه » اشارة الى ما يتعلق با لله تعالى ، وفى قوله « لعرضه » اشارة الى ما يتعلق بالناس ، أو ذاك اشارة الى ما يتعلق بالشرع ، وهذا الى المروءة ، فلا يكون عند الله مذموما ولاعند الناس مؤاخذا ولا ملوما.

وأما قوله (ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام)

فمعناه أن من وقع فى الشبهات جره ذلك الى الوقوع فى الحرام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

راضيا أو كارها ، من حيث يشعر أو لايشعر ، وذلك لقلة احترازه وفقدانه نور الورع ،

وأما قوله (كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه)

فمعناه أن مثل من يقع فى الشبهات ولا يتحرز منها كمثل راع يرعى حول المكان المحظور بحيث انه لا يأمن الوقوع فيه ، ووجه الشبه حصول العقاب بعدم الاحتراز فى ذلك ، فكما أن الراعى اذا جره رعيه حول الحمى الى وقوعه حول الحمى استحق العقاب بسبب ذلك فكذلك من أكثر من الشبهات وتعرض لمقدماتها وقع فى الحرام فاستحق العقاب ـ شبه المكلف بالراعى والنفس البهيمية بالانعام والمشتبهات بما حول الحمى والمحارم بالحمى وتناول المشتبهات بالوقوع حول الحمى .

وأما قوله (ألا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله فى أرضه محارمه) .

فهو مثل ضربه النبى عليه الصلاة والسلام ، وذلك أن ملوك العرب كانت تحمى مراعى لمواشيها وتتوعد من يقربها والخائف من السلطان يبعد بماشيته خوف الوقوع ، وغير الخائف يقرب منها ويرعى فى جوانبها فلا يأمن من أن يقع فيها من غير اختياره فيعاقب على ذلك . ولله تعالى أيضا حمى وهى المعاصى فمن ارتكب منها شيئا استحق العقوبة ، ومن قارب الحمى بالدخول فى الشبهات يوشك أن يقع فى الحرام .

وكل هذا انما تحذير بليغ من البشير النذير للمسلمين أن يفروا من الشبهات ويحذروها حتى يسلم لكل منهم دينه وعرضه .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام (ألا وان فى الجسد مضغة اذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) .

فانه يدل أوضح دلالة على أن صلاح العبد باجتنابه للمحرمات ، واتقائه للشبهات ، ومسارعته فى الخيرات انما هو بحسب صلاح قلبه وسلامته ، فان كان القلب سليما مستقيما مغمورا بالايمان بالله تبارك وتعالى والدار الآخرة وحب الله وخشيته صلحت حركات الجوارح كلها واستقامتها على صراط الهدى والصلاح ، وان كان القلب فاسدا ، يغلب عليه اتباع الهوى وطلب ما تميل اليه النفس ولو كرهه الشرع فسدت حركات الجوارح ، وانبعثت الى المعاصى والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب . وقد اشتهر بين الناس من قديم أن القلب ملك الاعضاء وهى جنوده ، يطيعون أمره ، وينبعثون فى مرضاته ، ولايخالفونه فى شىء مما يأمر أو يشير به ، فان كان صالحا صلحت به حركات البدن وصلح به كل شىء ، وان كان فاسدا فسد به كل شىء ، وفى الحديث الشريف (لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه) (١) قال ابن رجب : والمراد باستقامة القلب أن يكون ممتلئا من محبة الله ومحبة طاعته وكراهة معصيته (من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن) (٢) .

وقد كان أسلافنا رضوان الله عليهم يتعهدون ارادتهم ونياتهم وما ينبعث عن ذلك من أعمال فيتحرون أن يكون ذلك كله لله تعالى .

قال الحسن البصرى رحمه الله : ما ضربت ببصرى ، ولا نطقت بلسانى ، ولا بطشت بيدى ، ولا نهضت على قدمى حتى أنظر أعلى طاعة أو على معصية ،فان كانت طاعة تقدمت ، وان كانت معصية تأخرت .

وقال محمد بن البلخى : ما خطوت منذ أربعين سنة خطوة لغير الله عز وجل .

---

(١) مسند أحمد .

(٢) الطبرانى فى الكبير ـ الفتح الكبير .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد قيل لداود الطائى : لو تنحيت من الشمس الى الظـل ؟ فقال : هذه خطـا لا أدرى كيف تكتب .

قال ابن رجب بعد أن أورد هذه النقول : فهؤلاء القوم لما صلحت قلوبهم فلم يبق فيها ارادة لغير الله صلحت جـوارحهم فلم تتحرك الا لله عـز وجـل وبما فيه مرضاته . انتهى .

وفى كلام النبى صلى الله عليه وسلم عن صـلاح القلب وفسـاده عقب الكلام عن الحـلال والحرام والمشتبهات اشـارة واضحـة الا أن لطيب المكسب والمطعم والملبس أثرا فى صلاح القلب واستقامته ، وأن من رام اصلاح قلبه فعليه بتحرى الحلال فى كل شىء ، وأما من رأى قلبه لا ينبعث الى الخير ولا يرغب فيه ولا يحن الى أهله من العلمـاء العاملين والعباد الصالحين ـ ويهش للهو والفساد ومخالطة أهل الريب والمجون فعليه أن يبدأ باصلاح مطعمه ومشربه وليخرج التعلق بزينـة الدنيـا وزهرتها من قلبه فان ذلك كفيل باذن من يحيى الارض بعد موتهـا أن يصلح من أمره ما فسد ، ويقوم من شأنه ما اعـوج ، فيكون أهـلا للتوفيق فى هذه الحيـاة ، وحسن المثوبة حين يلقى مولاه (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحريم الظلم وغصب الارض

عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أن أروى خاصمته فى بعض داره فقـــال :
دعوها واياها فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أخذ شبرا من الارض بغير حقه طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » اللهـــم أن كانت كاذبة فأعم بصرها ، واجعل قبرها فى دارها : قال : فرأيتهـــا عمياء تلتمس الجدر تقول :
أصابتنى دعوة سعيد بن زيد ، فبينما هى تمشى فى الدار مرت على بئـــر فوقعت فيه فكانت قبرها • متفق عليـــه

الشرح والبيـــان

راوى هذا الحديث وصاحب قصته هـــو الصحابى الجليل ســـعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشى ، وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وزوج أخته ، وكان اســـلامه سببا فى اسلام زوجته وفى اسلام عمر بن الخطاب كذلك وقصة اسلامه مشهورة ، ويلتقى نسب سعيد رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كعب بن لؤى •

أسلم مع السابقين الاولين ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنـــة ، وكان يتحدث عن سابق اسلامه ويذكر نعمة ربه عليه فى ذلك فيقول : والله لقد رأيتنى وان عمر لموثقى على الاسلام قبل أن يسلم عمر •

ولا عجب أن سعيد بن زيد سعيدا بالاسلام ، مسارعا اليه ، ســـباقا فيه فقد كان والده زيد بن عمرو بن نفيل يتطلع لمشرق نور النبى صلى الله عليه وسلم ومبعثه ، وقد شهد للرسول صلى الله عليه وســـلم بالنبوة قبل مبعثه لمـــا يعلمه من مجىء نبى آخر الزمان ، وكان حنيفيا لا يأكل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما ذبح على الاصنام ، ولا يأكل الا ما ذكر اسم الله عليه مع أنه عاش فى الجاهلية ، ولذلك ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حقه : لقد رأيته فى الجنة يسحب ذيولا .

أما أروى التى خاصمته فهى أروى بنت أويس

(خاصمته فى بعض داره) أى ادعت أنه جزء من أرضها فأدخلها فى أرضه ، وكانت له أرض ودار بجوار تلك المرأة ـ وقد جاء هذا الذى أجمله سعيد فى هذه الرواية مفصلا فى روايات أخرى ، ففى مسند الامام أحمد عن طلحة بن عبيد الله انه قال : أتتنى أروى بنت أويس فى نفر من قريش فيهم عبد الرحمن بن سهل فقالت : أن سعيدا انتقص من أرضى الى أرضه ما ليس له ، وقد أحببت أن تأتوه فتكلموه ، قال : فركبنا اليه وهو بأرضه بالعقيق فكلموه فأنكر أنه أخذ من أرضها شيئا بعد أن سمع هذا الوعيد الشديد فى من يغتصب أرضا لغيره ، ولكن المرأة لم تسكت بل استعدت عليه مروان بن الحكم والى المدينة وقالت انه أخذ حقى ، وأدخل ضفيرتى فى أرضه ـ والضفيرة شط القناة ـ قال طلحة : فقال لنا مروان : أصلحوا بينهما .

وفى رواية العلاء فجاء سيل فأبدى عن ضفيرتها فاذا حقها خارج عن حق سعيد ، فجاء سعيد الى مروان يريد أن يعلمه فركب وركب معه الناس وذهبوا الى موضع المنازعة حتى نظروا اليها وعلموا كذب المرأة .

(فقال دعوها واياها) أى قال لعماله : اتركوها لها ، وكأنه لما وجدها متشبثه بالارض ، لاجة فى الخصومة وان لم تقم على دعواها بينة أمر بأن تترك لها حسما للنزاع ،وضنا بالوقت فى خصومات ومنازعات ، وهو باب من علو الهمة ومكارم الاخلاق ، وعملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك الى مالا يريبك » (١) (فانى سمعت رسول

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث صحيح .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الله صلى الله عليه وسلم يقول) هذه الجملة تعليل لما قبلها ، وأكد الكلام بأن للتدليل على أنه سمع الحديث من النبى صلى الله عليه وسلم بلا واسطة لاستبعاد أن يقع فى ذلك الظلم وقد سمع ذلك الوعيد الشديد بنفسه .

(من أخذ شبرا من الارض) وفى رواية (قيد شبر) أى قدر شبر وليس المقصود بتحديد الشبر بالحرمة والوعيد عليه أن ما دونه ليس بحرام ، بل المراد التمثيل بأقل المقادير عادة بالنسبة للارض — على أنه قد جاء فى رواية أخرى (من ظلم شيئا من الارض) وهو شامل للقليل والكثير اذ التنكير فيه للتقليل .

وقوله (بغير حقه) قيد فى الاخذ ، وفائدة الاتيان به الدلالة على أن أخذ الارض لا يترتب عليه هذا الجزاء الا اذا كان بغير حق ، أما اذا كان الاخذ بحق كما اذا استرد أو المغصوب فلا حرمة بشرط المماثلة وعدم التجاوز ودليله قول الله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (١) وقوله (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل) (٢) .

وأما قوله (طوقه من سبع أرضين يوم القيامة) فذلك هو الوعيد الشديد الذى أخبر الصادق المصدق أنه سينزل بأولئك الغاصبين يوم القيامة ، وطوقه بضم أوله على البناء للمفعول .

وقد اختلف العلماء فى المراد بهذا التطويق فقال الخطابى : له وجهان أحدهما أنه يكلف نقل ما ظلم من الارض الى المحشر ، ويكون كالطوق فى عنقه لا أنه طوق حقيقة .

الثانى : أن معناه أنه يعاقب بالخسف الى سبع أرضين .

---

(١) سورة البقرة (١٩٤) . (٢) سورة الشورى (٤١) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقيل : معناه كالاول ، لكن بعد أن ينقل جميع ما ظلم الى أرض المحشر يجعل كله فى عنقه طوقا ويعظم قدر عنقه حتى يسع ذلك كما ورد فى غلظ جلد الكافر ونحو ذلك .

ويحتمل وهو الوجه الرابع أن يكون المراد بقوله (يطوقه) أنه يكلف بأن يجعله طوقا له ولا يستطيع فيعذب بذلك كما جاء فى من كذب بادعاء رؤيا لم يرها فقد قال عليه الصلاة والسلام « من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ، ولن يعقد بينهما) .

والوجه الخامس : أن يكون المراد تطويق الاثم ، والمراد أن الاثم المذكور لازم له لزوم الطوق ، ومنه قوله تعالى (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه) (١) .

وللوجه الاول شاهد من نفس الحديث فقد روى الطبرى وابن حبان من حديث يعلى بن مرة مرفوعا (أيما رجل ظلم شبرا من الارض كلفه الله أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ، ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس) .

ومن شواهد الوجه الثانى ما جاء فى البخارى من حديث ابن عمر مرفوعا (من أخذ شبرا من الارض بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع أرضين) .

ومن شواهد الوجه الثالث ما أخرجه أبو يعلى باسناد حسن عن الحكم بن الحارث السلمى مرفوعا (من أخذ من طريق المسلمين شبرا جاء يوم القيامة يحمله من سبع أرضين) .

قال الحافظ فى الفتح : وبالاول جزم أبو الفتح القشيرى ، وصححه البغوى ثم قال : يحتمل أن تتنوع هذه الصفات لصاحب هذه الجناية ،

---

(١) سورة الاسراء (١٣) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو ينقسم أصحاب هذه الجناية ، فيعذب بعضهم بهذا ، وبعضهم بهذا بحسب قوة المفسدة أو ضعفها ، وقد روى ابن أبى شيبة باسناد حسن من حديث أبى مالك الاشعرى (أعظم الغلول عند الله يوم القيامة ذراع أرض يسرقه رجل فيطوقه من سبع أرضين) .

وفى الحديث تحريم الظلم والغصب وتغليظ عقوبته ، وامكان غصب الارض ، وأنه من الكبائر ، وأن من ملك أرضا ملك ما تحتها الى منتهى الارض ، وله أن يمنع من يريد أن يحفر تحتها بئرا أو سربا بغير رضاه ، وفيه أن من ملك ظاهر الارض ملك باطنها بما فيه من حجارة ثابتة وأبنية ومعادن وغير ذلك ، وأن لهأن ينزل بالحفر ما شاء ما لم يضر بمن يجاوره ، وفيه أن الارضين السبع متراكمة لم يفتق بعضها عن بعض ، لانها لو فتقت لاكتفى فى حق الغاصب بتطويق الارض التى غصبها لانفصالها عما تحتها ، وفيه أن الارضين السبع طباق كالسموات وهو ظاهر قوله تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ... الآية) (١) .

خلافا لمن قال : ان المراد بقوله سبع أرضين سبعة أقاليم ، لانه لو كان كذلك لما طوق من غصب أرضا من اقليم شيئا من اقليم آخر .

(اللهم ان كانت كاذبة فأعم بصرها) اللهم أى يا الله فحذف منه حرف النداء وعوض عنه ميم التعظيم ، وانما علق الدعاء عليها على كونها كاذبة فى الواقع لكيلا لايكون ظالما لها ، وعبر «بأن» المفيدة للشك مع أنه متيقن بكذبها هضما لنفسه ، وتفويضا لربه ، أو تكون «إن» هنا لمجرد ربط الجواب بالشرط بقطع النظر عن افادتها للشك .

وكأن سعيدا رضى الله عنه آثر أن يدعو عليها بعمى البصر ، لان اتهامها له وهو البرىء ولجاجتها فى ذلك ، وعدم ارعوائها بما ساق

---

(١) سورة الطلاق الآية ١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الوعيد الشديد لغاصب الارض دليل على عمى بصيرتها ، فكأنه دعا عليها بأن يعمى كما عميت بصيرتها .

(واجعل قبرها فى دارها) وفى رواية أخرى (واقتلها فى أرضها) وكأنه لما رآها متمسكة بالارض تريد أن تعتز بها ، وأن تكون سببا لمزيد من النعمة ومتعة الحياه قلب عليها قصدها فدعا بأن تكون هذه الارض سبب هلاكها ومذلتها وموطن عذابها الى يوم الدين . وقد أجاب الله دعوة سعيد عليها ، لانه مظلوم ، ولانه صالح وفى الحديث القدسى (من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب) .

(قال : فرأيتها عمياء تلتمس الجدر) القائل هو طلحة بن عبيد الله حاضر هذه القصة وراويها عن سعيد رضى الله عنه ، والالتماس الطلب ، والجدر جمع جدار وهو الحائط (تقول : أصابتنى دعوة سعيد بن زيد) اعتراف منها .

(وبينما هى تمشى على بئر فوقعت فيها فكانت قبرها) وهكذا تتحقق دعوة هذا الرجل الصالح بشقيها فتقع فى هذه البئر فى أرضها وتصيرقبرا لها ــ وقد يقال : لماذا تركوا اخراجها ولميقوموا بواجبغسلها وتكفينها ؟ أجيب بأن الظاهر أن البئر قد انهارت فوقها فصار عليها من الردم مالا قبل لهم برفعه وكشفه ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . ويحتمل أنهم فعلوا ذلك ولكن الراوى لم يتعرض له ، والاول هو المتبادر الى الذهن .

وفى الحديث أن الدعاء على الظالم جائز بشرط ثبوت ظلمه ، وفيه اجابة الله لدعاء سعيد فيدل على أنه مستجاب الدعوة ، وفيه ما كان عليه رضى الله عنه من دقة وتحرى ، فلم يطلق الدعاء على المرأة ، بل علق الدعوة عليها بقوله (ان كانت كاذبة) ، وأسعد الناس باجابة الدعاء هم أسرعهم الى طاعة الله ، وأبعدهم عن معاصيه ، وأتقاهم له والى هذا يشير قوله سبحانه (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون)(١).

وأهم أسباب التوفيق الى الخيرات واجابة الدعوات ايثار الحلال فى المطعم والمشرب والملبس والمكسب عامة ، والتوقى عن الحرام فى كل ذلك وعن الشبهات كذلك (ففى حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال : يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، ان الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل له عمل أربعين صباحا ، وكل جسد نبت من سحت فالنار أولى به) .

وأشد أسباب الحرمان والخذلان وقلة الاجابة اعراض العبد عن ربه ، وتقصيره فى طاعته ، وعدم ارعوائه عن معصيته وبخاصة فيما يتعلق بطعامه وشرابه ولباسه . يقول عليه الصلاة والسلام « ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، وقال (يا أيها الذين آمنو كلو من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه : يارب يارب ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك) (٢) .

فمن أراد الخير وحرص عليه وسلك سبيله تقربا الى مولاه الذى خلقه ورزقه وأغدق عليه صنوف النعم ، ونفر من المعاصى وفر منها وابتعد عن أسبابها خشية من ربه كان خليقا فى كل أحواله بالقبول ، وبلوغ المأمول .

ويؤخذ من الحديث غير ما تقدم صحة ملكية المرأة فى الاسلام ، وجواز تقاضيها للرجال أمام القضاء ، ويؤخذ منه ما فى الاسلام من سماحة واعتدال فقد أعطى المرأة من الحقوق وناط بها من الواجبات

---

(١) سورة البقرة (١٨٦) .
(٢) رواه مسلم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما يتلاءم مع فطرتها ووظيفتها فى الحياة فلم يهضمها ولم يظلمها ، ومن رام اعطاء المرأة حقوقا تتجاوز ما أقره لها الاسلام الحنيف فانه يسىء الى المرأة أولا والى المجتمع كله ثانيا ثم هو بذلك يسىء الظن بالدين ، ويعرض نفسه لانتقام رب العالمين وأحكم الحاكمين ـ نعوذ بالله من سخطه ونسأله المزيد من فضله ورضاه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحريم الذهب والحرير على الرجال واباحتها للنســـاء

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع : أمرنا بعيادة المريض ، واتباع الجنـازة ، وتشميت العاطس ، وابرار القسم ، ونصر المظلوم ، واجابة الداعى ، ونهانا عن خواتيم الذهب ، وعن شرب الفضة ، وعن المياثر ، وعن القسى ، وعن لبس الحرير والاستبرق والديباج (١) .

الشرح والبيـــان

البراء بن عازب الانصـارى الاوسى يكنى أبا عمـارة ويقـــال : أبو عمرو ، له ولابيه صحبة ، وقد روى أحمـد بسنده عن البـراء أنه قـال : استصغرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنا وابن عمر فلم نشهدها ، وفى رواية أخرى ، وشهدت أحدا .

غزا مع الرسول صلى الله عليه وسلم أربـع عشرة أو خمس عشرة غزوة ، وسافر معه ثمانية عشر سفرا ، وقيل : انه الذى افتتح الرى سنة أربع وعشرين من الهجرة ، وشهد واقعة الجمل وصفين مع على رضى الله عنه ، وقتال الخوارج ، ونزل الكوفة وابتنى بهـا دارا ، روى له الشـيخان ، وله فى الكتب الصحيحة ما يربو على ثلثمائة حديث . توفى سنة اثنتين وسبعين فرضى الله عنه وأرضاه .

قوله (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع) هكذا أجمل البراء رضى الله عنه المأمورات السبع والمناهى السبع ،

---

(١) رواه الشيخان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم وقع التفصيل بعد ذلك ، وهو أسلوب له فوائده من تشويق السامعين وجذب انتباههم ، وحملهم على حفظ ما يلقى عليهم لحصره بالعدد ،

ومن له أدنى الملم بالحديث يدرك فى يسر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أكثر من استخدام هذا الاسلوب ، واقتدى به فى ذلك أصحابه رضى الله عنهم • يقول عليه الصلاة والسلام « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد اذا أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار » (١) « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا أئتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » (٢) •

والمأمورات فى الحديث بمعنى المطلوبات شرعا أعم من أن تكون واجبة أو مندوبة أو فرض كفاية ، وهى من حقوق المسلم على المسلم كما صرحت به أحاديث أخرى مشهورة •

وما من أمر من هذه لامور الا وله حكمه ، وحكمته ، وفضله ، وأدبه • ولنبدأ بهذه المأمورات على ترتيب الحديث فنقول :

أما عيادة المريض : فمعناها زيارته ، ويلتحق بها تعهده وتفقد أحواله ، وقد يكون ذلك فى العادة سببا لانبعاث نشاطه ، وانتعاش قوته •

وهى عند الجمهور من المندوبات ، وقد تصل الى الوجوب فى حق بعض الناس دون البعض كالقريب والجار والصديق ونحوهم ، وقد قال بوجوبها مطلقا الامام البخارى رحمه الله استنادا الى الحديث الذى

---

(١) متفق عليه .
(٢) متفق عليه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخرجه عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أطعموا الجائع ، وعودوا المريض ، وفكوا العانى » رواه البخارى وعن الطبرى : تتأكد فى حق من ترجى بركته .

ولعيادة المريض آداب ينبغى مراعاتها حتى تؤتى ثمرتها من جبر خاطر المريض والتسرية عنه وتخفيف آلامه ، ومواساة أهله وعشيرته ، وظفر العائد بالاجر العظيم .

ـ فمن ذلك اختيار الوقت المناسب لحال المريض وحال أهله ، فلا ينبغى أن يكون موغلا فى التبكير أو مسرفا فى التأخير ، أو فى مواعيد اعداد الطعام وتقديمه ، أو وقت القيلولة والراحة ونحو ذلك .

ـ ومنها تقليل المدة التى يمكثها عند المريض ، لانه قد يتأذى بالتطويل ، اذ ربما يحتاج الى قضاء حاجته بكثرة فيحصل له حرج من الزائر ، وقد يتكلف الجلوس وهو محتاج الى الاضطجاع ، فيحصل له نوع ارهاق ، وهذا اذا لم يكن العائد قريبا أو له به صلة قوية تجعله يحب بقاءه ، للأنس به ، والاسترواح اليه .

ـ ومنها أن ينفس له فى الاجل ، ويمنيه بالصحة والعافية وطول البقاء ، ويقوى فى نفسه الامل فى الشفاء ، ويذكره بقدرة الله على شفاء كل مرض مهما كان مستعصيا ، ويدعو له بالخير العاجل ، والشفاء التام ، وان كان عالما أو صالحا توضأ وأعطاه من فضل وضوئه ، ولا بأس بأن يرقيه بالرقية الشرعية ، وهى : باسم الله أرقيك ، والله يشفيك ، من كل داء يؤذيك ، أذهب الباس رب الناس ، اشف وأنت الشافى ، لاشفاء الاشفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما ، ثم يقرأ الفاتحة وسورة الاخلاص والمعوذتين .

والمتتبع لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيادته لاصحابه ، وسؤاله عنهم ، ودعائه لهم فانه يجد خيرا عظيما ، وزاد طيبا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من رجل يعود مريضا ممسيا الا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، ومن أتاه مصبحا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسى ، وكان له خريف فى الجنة » (١) .

وأما اتباع الجنازة فهو سنة ، ومعنى اتباع الجنازة تشييع الميت الى القبر للدفن ، وقد اختلف العلماء : هل الافضل المشى خلفها أو أمامها ؟ وأيهما أفضل المشى أم الركوب ؟ فمن أهل العلم من رجح المشى خلفها استدلالا بلفظ الاتباع لانه كالصريح فى المشى خلفها ، ومنهم من رجح المشى امامها ، قال : لان المشيعين شفعاء للميت ، والشفيع يقدم على المشفوع له ، والواقع أن الامرين جائزان وانما تختلف الافضلية باختلاف أحوال الناس ، فعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الراكب خلف الجنازة ، والماشى حيث شاء منها ، يمشى خلفها وأمامها وعن يمينها وعن يسارها قريبا منها » وقد علم بهذا أن الراكب يكون خلفها وأن الماشى حيث شاء وأن المشى أفضل من الركوب لكثرة الثواب ، ولانه يحملها مع الحاملين .

ومن آداب الجنازة أن لا يتبعها نساء و لانار لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم لطائفة من النساء كن خلف جنازة « أتحملن مع الحاملين ؟ قلن : لا قال : ارجعن مأزورات غير مأجورات » .

ومن آدابها ألا يتحدث الناس فى شأن من شئون الدنيا فانها عظة وعبرة ، وتذكر للموت والمصير ، ولذلك قالت الحنفية والمالكية بكراهة رفع الصوت أمام الجنازة ولو بذكر أو قراءة ، فان الله يحب الصمت فى ثلاث : فى تشييع الجنازة ، وعند قراءة القرآن ، وعند القتال فى سبيل الله.

وأما تشميت العاطس فمعناه الدعاء له ، لانه مأخوذ من شوامت

---

(١) أخرجه أبو داود مرفوعا وموقوفا عن على رضي الله عنه والخريف : بستان فى الجنة يجتنى ثمره .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدابة أى قوائمها ، كأنه يدعو له بالبقاء صحيحا معافى ، أو معناه الدعاء له بألا يشمت فيه أعداؤه ،

وقيل تسميت ـ بالسين ـ ومعناه الدعاء له بحفظ سمته الحسن قالوا : لان العطاس لا يأتى الا من أبخرة تتصاعد الى الدماغ فتخرج بشدة من الانف ، ولولا رحمة الله لاعوجت الانف أو ضاع البصر من شدة خروج الرطوبة من أنفه ، فيسن لمن حضره اذا سمعه يحمد الله أن يقول له : يرحمك الله ، فيرد عليه العاطس بقوله : يغفر الله لنا ولكم أو يهديكم الله ويصلح بالكم .

ومن آداب العاطس أن يخفض صوته بالعطاس ما استطاع ، وأن يغطى أنفه وفمه بيده أو ثوبه ، حتى لا يبدو منه ما يتأذى به جليسه .

وأما ابرار القسم فمعناه أن تنفذ له ما حلف به عليك ، فلوحلف عليك صاحبك أن تفعل كذا أو تدع كذا فالسنة أن تنفذ له وأن تبره ، وهذا اذا لم يكن المحلوف عليه معصية أو يترتب عليه ضرر ، لانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وبشرط أن يكون القسم شرعيا بأن يكون الحلف بالله تبارك وتعالى أو بصفة من صفاته لما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليذر » قال الامام النووى : وانما يسن ابرار القسم اذا لم يكن فيه مفسدة أو خوف ضرر ، فان كان شىء من هذا لم يبر قسمه ، كما ثبت أن أبا بكر قال للرسول صلى الله عليه وسلم : أقسمت عليك يارسول الله لتخبرنى . قال لاتقسم ، ولم يخبره لان فى الاخبار ضررا .

وأما نصر المظلوم : فهو فرض كفاية وهو من جملة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قالوا : وانما يتوجه الامر به لمن قدر عليه ولم يخف ضررا .

وللرسول صلى الله عليه وسلم توجيه قيم فيما ينبغى أن يكون

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليه المؤمنون من تناصر وتناصح ، فقد قال عليه الصلاة والسلام « انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا : يارسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : نصرك له أن تأخذ على يديه » فكف الظالم عن ظلمه نصر له على نفسه وشيطانه .

وأما اجابة الداعى : فهى واجبة لوليمة العرس بشرطين :
الاول : ألا يكون هناك محرمات كالنساء الكاسيات العاريات وبخاصة اذا اختلطن بالرجال من غير حجاب مدعوات كن أو راقصات أو مغنيات ، وكالخمر والمكيفات والمخدرات ونحو ذلك من القاذورات التى ينهى الدين عنها ، ويحذر منها ، ولا يرضاها لنفسه صاحب دين قويم ، وخلق كريم .

الشرط الثانى : أن تكون الدعوة شاملة للاغنياء والفقراء ، فلو خص بها الاغنياء فلا تكون الاجابة واجبة ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء ويترك الفقراء » (١).

ثم ينبغى أن يفطن المؤمن الى أن محل وجوب الدعوة فيما لو تحققت شروطها أن تلمس من الداعى صدقا فى دعوته ، ورغبة أصيلة فى حضورك عنده ، وتشريفك له ، أما اذا شعرت بأن الدعوة انما وجهت لمجرد المجاملة كما هو حال أكثر هذا الزمان فلا تجب الاجابة ، بل ربما تكره أو تحرم ، وقد كان حال الناس بالامس غير حالهم اليوم والمؤمن كيس فطن .

وأما افشاء السلام : فهو سنة ، ورده واجب على الكفاية ، ومعنى افشاء السلام اشاعته واكثاره على من عرفت ومن لم تعرف من المسلمين « فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الاسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » (٢) وللسلام

---

(١) متفق عليه .
(١) و (٢) رواه مسلم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بركة عجيبة فى توثيق الصلات ، واصلاح النفوس ، ولا عجب فهو أمان وسلام يقول النبى صلى الله عليه وسلم « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على أمر اذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم » (١) .

والسنة أن يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد ، والقليل على الكثير ، والصغير على الكبير .

وأما المنهيات فأولهما التختم بالذهب : قال الامام النووى رحمه الله : وأما خاتم الذهب فهو حرام على الرجل بالاجماع ، وكذا لو كان بعضه ذهبا وبعضه فضة حتى قال أصحاب الشافعى : لو كان فص الخاتم ذهبا أو كان مموها بذهب يسير ينفصل منه عند شدة الحرارة فهو حرام أيضا لقوله صلى الله عليه وسلم « الحرير والذهب حرامان على ذكور أمتى حل لاناثهم » ، قال ابن دقيق العيد : ظاهر النهى للتحريم ، وهو قول الائمة ، واستقر الامر عليه ، وما نقل عن بعض السلف أنه لبس خاتم الذهب فشذوذ لا يعول عليه فى مقابلة الاجماع ، والاشبه أنه لم تبلغه السنة ، وقد رأى ابن مسعود حباب بن الارت يلبس خاتما من ذهب فقال له : أما آن لهذا الخاتم أن يلقى ؟ فقال : انك لن تراه على بعد اليوم ، فكأنه لم يبلغه النهى ، فلما بلغه رجع ، قال الحافظ بن حجر : واستدل بالحديث على تحريم الذهب على الرجال قليله وكثيره للنهى عن التختم بالذهب مطلقا ، وقد اتخذ النبى صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب ولبسه قبل التحريم ، ولبس الناس اقتداء به ، ثم رمى به واتخذ خاتما من فضة ، وكان من نقشه « محمد رسول الله » فاقتدى الناس به وطرحوا خواتيم الذهب الا من لم يبلغه النهى ، قال أنس : كان خاتم الرسول من فضة وكان فصه منه .

وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى يد رجل من أصحابه خاتما

---

(١) رواه مسلم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من ذهب فانتزعه بشدة ، وطرحه بعيدا وقال : يعمد أحدكم الى جمرة من نار فيضعها فى يده ، فقال الناس للرجل : اذهب فخذ خاتمك فانتفع بـه ، فقال : والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومثل الخاتـم الدبلة المعروفة بين الناس ، فيجب على الشاب المسلم ـ اذا كان لا بد من دبلة ـ أن يحرص على أن تكون من غير الذهب كالفضة مثلا ، وليحذر نصائح الجهلة وتوسـلات النسـاء فانهـا نصائح وتوسـلات شيطانية ، وأى مانع من أن تكون هذه الدبلة من الفضة .

هذا كله بالنسبة الى الرجال ، أما النساء فلا يحرم عليهن التحلـى بالذهب ، لأن المرأة تتزين لزوجها .

أمـا غير الذهب من المعـادن الكريمة فلا بأس أن يتختم بها الرجل فى غير سرف ولا مخيلة ، أما استعمالها فى غير التختم كالسـلاسل ونحوها فيأتى تحريمها من أن لبسها تشبه بالنسـاء « وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهـات من النسـاء بالرجـال » (١) .

قال أهل العلم : والحكمة فى تحريم الذهب على الرجـال مـا فى ذلك من الترف والتخنث ، الى جانب أن الذهب تقوم به الاشياء فلو أبحنا للرجال استعماله لضاقت النقود ، وارتفعت الاسـعار ، هكـذا قالوا ، والواقع أنه يجب الاستجابة لامر الشارع الحكيم سواء أدركنا حكمـة التشريع أو غابت عنا ، وما ذكروه انما هو حكم مظنونة وقد يكون الـى جانبها سواها ، وسبحان من أحـاط بكل شىء علمـا .

والمؤمن سميع مطيع ، تواب أواب (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، وأولئك هـم

---

(١) رواه البخـارى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) (١) .

والثانى من المنهيات الشرب فى آنية الفضة ، وهو حرام لقوله صلى الله عليه وسلم « الذى يشرب فى آنية الفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم » (٢) ومثل آنية الفضة آنية الذهب من باب أولى .

قال الامام النووى : وأجمع المسلمون على تحريم الاكل والشرب فى اناء الذهب والفضة على الرجل وعلى المرأة ، ولم يخالف فى ذلك الا داود الظاهرى فانه حرم الشرب وأباح الاكل وسائر وجوه الاستعمال ، وهو قول باطل منا بذلك لصريح الاحاديث ومخالف للاجماع الذى انعقد على تحريم استعمال اناء الذهب واناء الفضة فى الاكل والشرب والطهارة ، ولذا يحرم الاكل بملعقة من ذهب أو فضة ، ويستوى فى ذلك الرجل والمرأة بلا خلاف .

أما الثالث وما بعده : فهى لبس الحرير أو اتخاذه وطاء بأنواعه المختلفة ، وذلك لان المياثر جمع ميثرة ـ بوزن مطرقة ـ وهى وطاء من حرير يوضع على السروج ، يقال : فراش وثير أى وطىء لين ، والجلوس على الحرير سواء كان على أرض أو أريكة أو دابة محرم .

وأما القسى ـ بفتح القاف وتشديد السين ـ نسبة الى القس بفتح القاف بلد بمصر فهى ثياب مضلعة بالحرير ، وهى من صنع مصر والشام ، ويختلف حكم هذه الثياب باختلاف الخامات المصنوعة منها ، فما غلب عليه الحرير فهو حرام والنهى فيه للتحريم وما غلب عليه الكتان فهو مكروه والنهى فيه للتنزيه ، وقد أباح الرسول صلى الله عليه وسلم مقدار اصبعين من الحرير على حافة الثوب .

أما الاستبرق والديباج فهما من الحرير فالاستبرق ما غلظ من الحرير ، والديباج ما رق منه ، والحكمة فى تحريم الحرير على الرجال ما فيه من الترف والتخنث ، وليس هذا من شأن الرجال . والله أعلم وهو أجل وأحكم

---

(١) سورة النور (٥١ ، ٥٢) . (٢) متفق عليه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نزول عيسى بن مريم عليه السلام آخر الزمان حكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم

عن أبـى هريرة رضى الله عنـه أنـه قـال : قـال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم :

« والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكما مقسطا فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المـال حتى لا يقبله أحد » .

رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

تقـديم

كان عيسى بن مريم عليـه السـلام آية للناس فى جميع أطواره ، وسـائر شئونه :

كان آية للناس حين خلقه الله من امرأة لم يمسسـها بشر .

وكان آية للناس حين تكلم فى المهد مبرئا لوالدته ، وشـاكرا لانعم ربه عليه ، يقول القرآن الكريم :

(فأتت به قومها تحمله قالوا : يامريم لقد جئت شيئا فريا ، يا أخت هارون ما كان أبوك أمرأ سوء ومـا كانت أمك بغيـا ، فأشارت اليـه قالـوا : كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال : انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيـا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا ، والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) (١) وسيكون آية للناس حين ينزله الله آخر الزمان ليدك به صروح الظلم ويقوض به دعائم الضلالة ، ويقيم به الناس على صراطه المستقيم على ملة سيد الاولين والآخرين ، ويجعل نزوله علما

---

(١) سورة مريم (٢٧ ـ ٣٣) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للساعة وأمارة عليها حسبما قال جل جلاله (وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) (١) .

وهذا حديث من الاحاديث التى ثبتت عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بشأن نزول عيسى بن مريم عليه السلام آخر الزمان والمهمة التى سيتولاها وينجزها باذن ربه — ثم بمن يؤيده الله بهم ويؤيدهم الله به وهم المسلمون اتباع الرسل واتباع محمد عليه الصلاة والسلام — وهى أحاديث كثيرة حكم كثير من حفاظ الحديث بتواترها وافادتها العلم واليقين كما سنعرف ذلك ان شاء الله تعالى .

ولما كان نزول عيسى عليه السلام أمرا غريبا فقد كذب به كثير من الناس ، وأنكره بعض أهل العلم ممن قلت بالحديث الشريف معرفتهم، وضحل بالقرآن الكريم علمهم — وهو الذى بلغ من الثبوت مبلغا يبعده عن التكذيب به والتمارى فيه .

لذا أحببت أن أشرح هذا الحديث ليكون مدخلا الى دراسة عن الموضوع برمته أتناول فيها طائفة من الابحاث المتعلقة به .

فهناك بحث فى شأن بقاء عيسى عليه السلام حيا فى السماء الى الآن ، وأقوال الصحابة والتابعين والمفسرين فى ذلك ، وما قد يرد عليه من اشكالات وبيانها والكشف عن وجه الحق فيها بأوضح دليل .

وهناك بحث عن ثبوت التواتر لهذه الاحاديث ، وافادتها للعلم واليقين — وسوق ما يتيسر من هذه الاحاديث والاحالة الى المصادر التى توسعت فى ايرادها .

وهناك بحث ثالث بينت فيه أن هذه الاحاديث محكمة صريحة لايسوغ التكلف فى تأويلها . وصرفها عن معناها المتبادر منها ، وأن التأمل فى ألفاظها ومعانيها يحيل ذلك احالة كاملة ، وبنيت ما يترتب على ردها

---

(١) سورة الزخرف (٦١) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو تأولها بأنه اساءة ظن واتهام لرواة العلم وحفاظ الحديث ، بل بالصحابة الكرام الذين رووها وقبلوها ، وفسروا بها كتاب ربهم ــ وكفى بهم قدوة وأسوة ــ وقد راعيت فى ذلك غاية الايجاز مكتفيا بالاشارة عن العبارة ، وبالاحالة عن الاستيعاب والاطالة ، والله حسبى ونعم الوكيل .

الشرح والبيان

يقول الصادق المصدوق صلى اللـّه عليه وسلم :

(والذى نفسى بيده)

قسم من النبى صلى الله عليه وسلم بربه ، اذ النفوس كلها بيد الله عز وجل ان شاء قبضها ، وان شاء أبقاها ، هو المتصرف فيها ، والمهيمن عليها (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .(١)

وفى ايثار النبى صلى الله عليه وسلم هذا القسم اشعار بعظيم احساسه صلوات الله وسلامه عليه بهيمنة ربه عليه وبقصر أمله عليه الصلاة والسلام ، وفيه كما يقول العلامة الحافظ ابن حجر العسقلانى الحلف فى الخبر مبالغة فى تأكيده . اهـ

وكأنما أحس عليه الصلاة والسلام بغرابة الخبر ، وعظمة شأنه ، وأن ناسا من أمته سيكذبون به ، ويتمارون فيه ، فآثر أن يؤكده بهذا القسم العظيم اقتلاعا لوساوس النفوس ، ومحاربة لنزعات الشياطين .

(ليوشكن)

ليقربن أى لابد من وقوع سريعا . وقد يقال استشكالا على هذا

---

(١) سورة الزمر (٤٢) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القرب المؤكد بهذه الطائفة من المؤكدات : ان ذلك لم يقع حتى الآن برغم مرور نحو أربعة عشر قرنا من الزمان على صدوره فكيف نفهم هـذه السرعة ؟ والجواب أن السرعة فى كل شىء بحسبه ، فالقرون الكثيرة قد تكون سريعة فى عمر الزمان ، فى حين أن بعض قرن زمن طويل بالنسبة للانسان .

(أن ينزل فيكم)

أى فى هذه الامة ، وان كان خطابا لبعضها ممن لايدرك نزوله .

(حكما)

أى ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا ينزل نبيا برسالة مستقلة ، وشريعة ناسخة ، بل هو حاكم من حكام هذه الامة يقيمها على صراط ربها وسنة نبيها ، وينتصر لها على عدوها .

(مقسطا)

المقسط : العادل يقال أقسط يقسط اقساطا فهو مقسط اذا عدل ، والقسط ـ بكسر القاف ـ العدل ، ومنه قوله تعالى (ان الله يحب المقسطين) (١) وأما القسط ـ بفتح القاف ـ فهو الجور وقسط يقسط قسطا اذا جار ومنه قوله تعالى :

(وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) (٢) .

(فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير)

معناه أنه يبطل دين النصرانية ، ويكسر الصليب حقيقة ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه ، ويظهر الحق الذى أعلم الله به عباده فى كتابه الكريم وقرآنه العظيم على لسان خاتم النبيين ، وسيد الاولين

---

(١) سورة الحجرات (٩) (٢) سورة الجن (١٥) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والآخـرين ، فى الدنيا ويوم الدين محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فلم يتمكن اليهود من قتله كما يظنون ، ولم يصلب كما حسبت النصارى وانما الامر كمـا قال العزيز الحكيم سبحانه (وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علـم الا اتباع الظن ، وماقتلوه يقينا ، بل رفعـه الله اليـه ، وكان الله عزيزا حكيمـا) (١) .

ويقتل الخنزير حقيقة كذلك ، قال ابن حجر فى الفتح : ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير ، وتحريم أكله ، وأنه نجس لان الشىء المنتفع بـه لا يشرع اتلافه . اهـ

(ويضع الجـزية)

ـ معنـاه أن الله يظهر على يد عيسى بن مريم عليه السلام الاسلام على الدين كله ،ويصيرالدين واحدا هو دين الاسلام ، فلا يبقى أحـد من أهل الذمة يؤدى الجزية .

ـ وقيل : معناه أن المال يكثر وتمتلىء منه أيدى الناس وخزائنهم حتى لا يبقى بينهم محتاج يمكن صرف مال الجزية له ، فتترك استغنـاء عنهـا .

ـ وقال القاضى عياض : يحتمل أن يكون المراد بوضع الجـزيـة تقريرها على جميع أهل الذمة من غير محاباة ، وتكون كثرة المـال بسبب ذلـك .

والراجح من هذه الاقوال الاول بدليل ما جاء عند أحمد عن أبـى هريرة (وتكون الدعوى واحـدة) فان ذلك صريح فى أنه لن يكون مع دعـوى الاسـلام غيرها .

---

(١) سورة النسـاء (١٥٧ ، ١٥٨) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والرأى الثانى متعقب بأنه طالما كانت الجزية مقررة ومطالبا بها من قبل الشرع الحكيم فالواجب أخذها بغض النظر عن الحاجة اليها ، ومن ظن أن العلة فى أخذ الجزيـة من أهل الكتاب حاجة المسلمين فقد غفـل عن الحكمة الحقيقية فى مشروعيتها وهى اشعار أهل الكتاب الذين حرفوا كلام الله عن مواضعه ، وشرعوا لانفسهم من الدين مالم يأذن بـه الله ، وحرموا ما أحل الله ، وأحلوا ما حرم ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله بالمذلة والصغار قال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صـاغرون) (١)

وأما الرأى الثالث وهو ما أورده القاضى عياض رحمه الله على سبيل الاحتمال غير جازم به فقد تعقبه الامـام النووى وقال : الصـواب أن عيسى لا يقبل الا الاسلام . ودليله ما مر فى ترجيح القـول الاول .

وقد يقال : كيف يضع عيسى عليه السلام الجزية مع أنها مطلوبة فى هذه الشريعة ؟أليس هذا نسخا وقد قررتم أنه ليس لعيسى عليه السلام أن ينسخ شيئا من هذه الشريعة ، لانه نزل حاكما بهذه الشريعة ، لانبيـا بشريعـة جديـدة ؟

والجـواب عن هذا ما قرره الامام النووى وغيره من أن معنى وضع الجزية مع أنها مشروعة فى هذه الشريعة أن مشروعيتهـا مقيـدة بنزول عيسى بدليل هذا الحديث الصحيح ، وليس عيسى عليه السلام بناسـخ لحكم الجزية ، بل نبينا صلى الله عليه وسلم هو المبين للنسخ بقوله هذا .

ثم أن حكمة مشروعية قبول الجزية من أهل الكتاب ما فى أيديهم من شبهة الكتاب ، وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم ، فاذا نزل عيسى عليـه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته ، فيكونون حينئذ كعبدة الاوثان فى

---

(١) سورة التوبة (٢٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم ، فناسب أن يعاملوا معاملتهم فى عدم قبول الجزية منهم .

(ويفيض المال)

بفتح الياء أى يكثر ، وسبب فيض المال نزول البركات ، وكثرة الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم ، وتخرج الارض أثمن ما فيها من خيرات وكنوز سائلة وجامدة ، وتقيء أفلاذ كبدها كما جاء فى حديث النبى عليه الصلاة والسلام .

(حتى لا يقبله أحد)

فيه دلالة على شدة كثرة المال من جهة ، وقلة الرغبات فيه لاغتنائهم، وقصر آمالهم ، لعلمهم بقرب قيام الساعة ، فان عيسى عليه علم من أعلام الساعة وآية من آياتها .

وهنا درس على المسلمين أن يعوه ويتذكروه ، فهناك تلازم لاينفك ولايتخلف بين استقامة الامم على طريقه الله ، وصلاح حالها وبين سعة رزقها ، فقد أخذ الله على نفسه أن يفتح على الامم ان هى استقامت على طريقته ، واستمسكت بدينه أسباب الخير ، ويوسع عليها فى الرزق، قال تعالى (فقلت : استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً)(١) وقال (وألو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا) (٢) وقال (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) (٣) .

وهناك تلازم كذلك بين اعوجاج الامم وانحرافها وبين ما ينتابها من أزمات ونكبات . قال تعالى (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية : جنتان عن

---

(١) سورة نوح (١٠ ـ ١٢) . (٢) سورة الجن (١٦) .
(٣) سورة المائدة (٦٦) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط ، وأثل وشىء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى الا الكفور) (١)

ـ وقد يقال : ان المسلمين فى أول عهدهم عانوا شظف العيش وقسوة الحياة ، وجابهوا صعابا جساما ، وأهوالا عظاما ، وتعرضوا لالوان كثيرة ومختلفة من البلاء ، وهى أمور لابد أن يتعرض لها المؤمنون أفرادا وجماعات قال تعالى (الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (٢) وقال (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات ، وبشر الصابرين) (٣) .

والجواب أن هذا تمحيص للمؤمنين ، وتمييز للطيب من الخبيث ، ورفع لدرجات المؤمنين الصادقين ، وليضرب الله المثل بالصادقين لغيرهم .

وقد يقال : ان العالم اليوم وخصوصا بلاد الغرب ومن نحا نحوها تسوده أفراد وجماعات موجات الانحراف والانحلال ، والبعد عن الدين منهجا وسلوكا ، والاعتراف بالسيئات والموبقات فى الاقتصاد والجنس والعلاقات الاجتماعية ، والشرب من كئوسها حتى الثمالة ، فكيف نفسر هذه السعة الهائلة التى تغمر هذا العالم الكافر بربه ، المعرض عن خالقه ورازقه فى رزقه . كيف نفسر ما نلاحظه من أن أبعد الناس عن ربهم وأشدهم له ولعباده محاربة أوسع الناس رزقا ، وأرغدهم عيشا ، وأهنأهم حياة ؟

والجواب أنها سكرة الحضارة أصابت أصحابها بدوار فقدوا توازنهم ، ولا ينبغى أن يفهم المؤمن هذا الا على أنه استدراج من الله

---

(١) سورة سبأ آية (١٥ ـ ١٧) (٢) سورة العنكبوت (١ ـ ٣) .
(٣) سورة البقرة آية (١٥٥) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لهؤلاء المكذبين الضالين حتى يفيقوا على الحقيقة المرة التى أفاق عليها أمثالهم حين لا تجدى الافاقة أولئك الذين قال الله فيهم (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين) (١) .

هذا وقد وردت ألفاظ أخرى فى الصحيح لهذا الحديث تكمله وتزيده وضوحا ، وتؤكد ما ورد فيه من معان وحقائق .

فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام (وليتركن القلاص فلا يسعى عليها) .

والقلاص جمع قلوص ـ يفتح قاف المفرد وكسر قاف الجمع ـ قال النووى : وهى من الابل كالفتاة من النساء والحدث من الرجال ، ومعناه أن يزهد فيها ولا يرغب فى اقتنائها لكثرة الاموال ، وقلة الآمال، وعدم الحاجة ، والعلم بقرب القيامة ، قال : وانما ذكرت القلاص لكونها أشرف الإبل التى هى أنفس الأموال عند العرب وهو شبيه بمعنى قول الله عز وجل (واذا العشار عطلت) (٢) . ومعنى لا يسعى عليها أى يتساهل أهلها فيها ولا يعتنون بها .

وقيل معنى لا يسعى عليها أى لا تطلب زكاتها اذ لايوجد من يقبلها . وقد رده النووى وحكم بأنه تأويل باطل .

ومن ذلك (ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد) .

والشحناء هى العداوة ، والسبب فى ذهاب هذه الرذائل أن الذى يهيجها فى النفوس انما هو الحرص على الدنيا والتنافس فيها ، وقد امتلأت بها الجيوب والخزائن ، بالاضافة الى قصر آمال الناس ، وقلة

---

(١) سورة الانعام (٤٤ ، ٤٥) .

(٢) سورة التكوير (٤) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رغباتهم فى الدنيا لرغبتهم فى الآخرة لعلمهم وتيقنهم بقرب قيـام الساعة .

ومن ذلك (حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها)

ومعناه أن الناس تكثر رغبتهم فى الصلاة وسائر الطاعات لقصر آمالهم وعلمهم بقرب قيام الساعة ، وقلة رغبتهم فى الدنيا لعدم الحاجة اليها ، قالـه النووى .

وقال القاضى عياض رحمه الله : معناه أن أجرها لمصليها خـير من صدقته بالدنيا وما فيها لفيض المال وهوانه وقلة الشح ، وقلة الحاجـة اليه للنفقة فى الجهـاد ، قال والسجدة هى السجدة بعينها ، أو يكـون المراد بها الصلاة مجازا من باب اطلاق الجزء وارادة الكل .

ومنها (ثم يقول أبو هريرة : أقرأوا ان شئتم) (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) (١) .

والمعنى فى رأى أبى هريرة رضى الله عنه أنه ما من أحد من أهل الكتاب يكون فى زمن عيسى عليه السلام حين ينزل آخر الزمان الا آمن به وصدقه واستجاب له فيما يدعو اليه من العودة الى دين الله الحق وشريعة خاتـم النبيين محمد عليه الصلاة والسـلام ، وعلم أنه عبد الله وابن أمتـه ، فالضمير فى « بـه » وفى « موته » يعود الى عيسى عليه السلام .

قال النووى : هذا مذهب جماعة من المفسرين ، وبهذا جزم ابن عباس فيما رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه باسناد صحيح ، ومن طريق أبى رجاء عن الحسن البصرى أنه قال : قبل موت عيسى ، والله انه لحى ، ولكن اذا نزل أمنوا به أجمعون ، نقله عن أكثر أهل العـلم ، ورجحـه وضعف ما سواه ، وكذلك فعل العلامة ابن كثير فى تفسيره وناقش الآراء

---

(١) سورة النساء آية ١٥٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاخرى وبين صحتها وصوابها فى نفسها لا على أنها المرادة من الآيـة ، وسوف نعرض كلام ابن كثير عقب ايراد سائر الاقـوال ، ولله الحمـد والمنـــة •

وذهب بعض المفسرين الى أن الضمير فى «به» يعود الى عيسى عليه السلام ، وأن الضمير فى «موته» يعود على الكتابى • والمعنى : وما من أحد من أهل الكتاب يحضره الموت الا آمن عند الموت قبل خروج روحه بعيسى عليه السلام ، وأنه عبد الله وابن امته ، ولكن لا ينفعه هـذا الايمان لانه فى حضرة الموت وحالة النزع ، وتلك الحالة لا حكم لما يفعل أو يقـال فيها ، فلا يصح فيها اسـلام ولاكفر ، يقول الله تعالى : (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قـال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفـار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليمـا) (١) •

قال النووى : وهذا المذهب أظهر ، فان الاول يخص الكتابى الذى يدرك نزول عيسى عليه السلام ، وظاهر القرآن عمومه لكل كتابى سواء أدرك نزوله أو كان قبل نزوله ، ويؤيد هذا قراءة من قرأ (من قبل موتهم)•

على أن فى الآية رأيا ثالثا باعتبار مرجع الضمير ، فقيل :

الضمير فى «به» يعود على نبينا صلى الله عليه وسلم ، والضمير فى « موته » يعـود على الكتابى •

وهذا فى الحقيقة راجع الى الرأى الثانى ومتدرج فيه ، فان المحتضر تكشف له الحقائق التى كان يجهلها فى الدنيا أو يجحدها مع استيقانه بها كشفا لا يبقى معه شك أو ريبة ، وينبأ بما كان عليه من خير أو شر وايمان أو كفر تعجيلا له بالبشرى ، وتشويقاله الى لقاء ربه ان كان من الصالحين، ومسارعة اليه بالمسـاءة والايلام ان كان من المكذبين الضالين • فهـذا من هـذا والله أعـلم •

---

(١) سورة النسـاء (١٨)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد نصر العلامة ابن كثير فى تفسيره الرأى الاول وله فى ذلك كلام نفيس يحسن ايراده ، قال رحمه الله :

وأولى الاقوال بالصحة القول الاول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام الا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام ، لانه المقصود من سياق الآى فى تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الامر كذلك ، دائما وانما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم انه رفعه اليه ، وانه باق حى ، وانه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الاحاديث المتواترة التى سنوردها قريبا ، فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، يعنى لا يقبلها من أحد من أهل الاديان ، بل لا يقبل الا الاسلام أو السيف ، فاخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ، ولهذا قال (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) أى قبل موت عيسى عليه السلام الذى زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أى بأعمالهم التى شاهدها منهم قبل رفعه الى السماء وبعد نزوله الى الارض .

فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابى لايموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع ، وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلى له ما كان جاهلا به فيؤمن به ، ولكن لايكون ذلك ايمانا نافعا له اذا كان قد شاهد الملك كما قال تعالى فى أول السورة (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال : انى تبت الآن) الآية وقال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ، فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا . .) (١) .

---

(١) سورة غافر الآية (٨٤ ، ٨٥) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم قال : ومن تأمل هذا جيدا وأمعن النظر اتضح له أنه هو الواقع لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا ، بل المراد بها الذى ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام ، وبقائه حيا فى السماء ، وأنه سينزل الى الارض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق ، ففرط هؤلاء اليهود ، وأفرط هؤلاء النصارى ، تنقصه اليهود بما رموه به وأمه من العظائم ، وأطراه النصارى بحيث ادعو فيه ما ليس فيه ، فرفعوه فى مقابلة أولئك عن مقام النبوة الى مقام الربوبية تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علوا كبيراً وتنزه وتقدس لا اله الا هو (١) .

تفسير ابن كثير ١/٦١٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبحاث تتعلق بالحديث

الأول : فى شأن بقاء عيسى عليه السلام حيا الى الآن

ونقول : أن أكثر أهل العلم وجمهورهم سلفا وخلفا على أن عيسى عليه السلام لا يزال حيا الى الآن ، وممن قال بذلك وثبت عنه بسند صحيح حبر الامة وترجمان القرآن ابن عباس رضى الله عنه ، وقد مر بنا ذلك ، كما مرت بنا كلمة الامام الربانى الجليل الحسن البصرى رحمه الله وأثابه : والله انه لحى الآن ولكن اذا نزل آمنوا به أجمعون ، كما مر بنا نقل العالم الجليل المفسر المؤرخ محمد بن جرير الطبرى ذلك عن أكثر أهل العلم وترجيحه له .

وربما أشكل على هذا ما جاء فى القرآن الكريم خطابا له عليه السلام من ربه (اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ، ورافعك الى ، ومطهرك من الذين كفروا . . الآية) (١) (وخطابا منه عليه السلام لربه) فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) (٢) .

والجواب أن الوفاة تطلق وقد يكون مرادا بها الموت كما فى قوله تعالى (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ..) (٣) وقوله (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) (٤) وقد يكون مراد بها النوم ، ومنه قوله تعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه) (٥) وقد جمع الله المعنيين فى آية من كتابه منبها بذلك على عظيم قدرته وبالغ حكمته ، وكامل هيمنته فقال (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ، ويرسل الاخرى

---

(١) سورة آل عمران (٥٥) (٢) سورة المائدة (١١٧) .
(٣) سورة الأنفال (٥٠) (٤) سورة السجدة (١١)
(٥) سورة الانعام آية (٦٠)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (١) فلا مانع أن نفهم الوفاة هنا بمعنى النوم ، وبذلك يقول أكثر المفسرين أنه عليه السلام رفع الى السماء نائما ، وقد نقل الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره حديثا أخرجه ابن أبى حاتم بسنده عن الحسن البصرى انه قال فى قوله تعالى (انى متوفيك) يعنى وفاة المنام ، رفعه الله فى منامه ، قال الحسن : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود « ان عيسى لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامه » (٢) .

وهذا الحديث الذى يرسله الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم لو صح لكان فيصلا فى المسألة ، وحاسما للنزاع ولكن مراسيل الحسن شبه الريح كما يقول علماء الحديث ــ على أن ابن جرير الطبرى روى هذا الحديث موقوفا على الحسن من قوله ، أو هو أشبه .

القول الثانى : اجراء هذه الآيات على ظواهرها بمعنى أن يكون المراد بالوفاة الموت الا أن القائلين بذلك يختلفون :

فمنهم من يقول : ان الله توفاه ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه اليه . ذكره ابن اسحاق بسند فيه مجهول عن وهب بن منبه .

وروى عن وهب كذلك أن الله أماته ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رفعه .

وهذه أقوال ينقلها وهب وغيره عن أهل الكتاب ، وأهل الكتاب لايوثق بهم فى هذا الامر ، ولا يلتفت الى آرائهم ولا الى رواياتهم ، لانهم كما ضلوا فى أمره فزعموا قتله وصلبه ضلوا كذلك فى أمر وفاته ورفعه ، والحمد لله الذى هدانا لما اختلف فيه من الحق باذنه .

على أنه قد جاء فى اللغة ما يثبت أن الموت قد يراد به النوم ، وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى من حديث حذيفة

---

(١) سورة الزمر (٤٢)
(٢) تفسير بن كثير ١/٣٦٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأبى ذر رضى الله عنهما أنهما قالا « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى الى فراشه قال : باسمك اللهم أحيا وأموت ، واذا استيقظ قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنـــا واليه النشور » (١) فلعـــل مراد من أطلق الوفاة أو الموت هذا المعنى والله أعلـــم .

---

(١) رواه البخـــارى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثانى

أحاديث نزول عيسى عليه السلام متواترة مفيدة للقطع واليقين

المتأمل فى أحاديث عيسى عليه السلام يستطيع أن يدرك فى يسر أنها متنوعة الاهداف والغايات ، فما منهـا من حديث الا وهو يعرض جانبا من شأنه عليه السـلام .

فبعضها يتحدث عن كيفية نزوله ، ومكانه ، وزمانه ، وما يسبقـه من الفتنة الكبرى فتنة المسيح الدجـال الذى يدعى الالوهية ، ويدعو الناس لطاعته ، وتروج أضاليله وأباطيله على العوام والطغام ، ثم انطفاء هـذه الفتنة على يـده عليه السـلام حيث يقتله ويريح الارض من شره .

وبعضها يتحدث عن مهمته التى ينزله الله من أجلها ، وهى نصر الدين الحنيف الذى تتابع على تبليغه ، والدعوة اليـه ، والمجاهـدة فى سبيله جميع الانبياء من لدن آدم الى أن ختموا بمحمد عليهم جميعا الصـلاة والسـلام ، والذى تكون الدعوة الى الله على مقتضى شريعته وحسب سنته وسـيرته .

وبعضها يتحدث عن حجه عليه السلام واعتماره ، ويبـين المكـان الذى يكون منه اهلاله بذلك وتلبيته .

وبعضها يتحدث عمـا يكون فى عهـده من كثرة الخيرات والبركات لقصر الآمـال ، وصلاح الاحـوال .

وبعضها يتحدث عمـا يعانيه الناس من شدة حـين ينفتح السـد ويخرج يأجوج ومأجوج فيأكلون الاخضر واليابس ـ الى غـير ذلك من الاحاديث التى صحت واشتهرت وبلغ مجموعها درجة التواتر بحيث لا يسع أحدا من المؤمنين أن ينكرها أو يمارى فيها أو يتأولها ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورحم الله الامام العالم العامل المفسر المؤرخ المحدث الفقيه الحافظ أبا الفداء اسماعيل بن كثير القرشى فقد ساق الاحاديث المتعلقة بنزول عيسى عليه السلام ، وحاول استيعابها واستقصاءها فى كتابه الجليل « تفسير القرآن العظيم » بأسانيدها معزوة الى من خرجها من أصحاب الكتب من الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم ، ثم عقب عليها تعقيب العالم الثبت الخبير فقال :

فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية أبى هريرة ، وابن مسعود ، وعثمان بن أبى العاص ، وأبى أمامة ، النواس بن سمعان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومجمع بن جارية ، وأبى شريحة وحذيفة بن أسيد رضى الله عنهم .

وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من أنه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية ، وأن ذلك يكون عند صلاة الصبح : ينزل فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، فلا يقبل الا الاسلام كما تقدم فى الصحيحين .

وهذا اخبار من النبى صلى الله عليه وسلم وتقرير وتسويغ له على ذلك فى ذلك الزمان حيث تنزاح عللهم ، وترتفع شبههم ، ولهذا كلهم يدخلون فى الاسلام متابعين لعيسى عليه السلام وعلى يديه قال تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ، وهذه الآية كقوله (وانه لعلم للساعة) (١) وقرىء (لعلم) بالتحريك أى أمارة ودليل على اقتراب الساعة ... (٢) اهـ .

---

(١) سورة الزخرف (٦١) (٢) تفسير بن كثير : ١/٥٨٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه الاحاديث محكمة صريحة لا يسوغ فيها التأويل

علمنا أن هذه الأحاديث قد ثبتت واشتهرت وتواترت وحكم حفاظ الحديث وعلماء التفسير ــ وهم أهل الذكر فى هذا الشأن ــ بقبولها ، وأخذها على ظاهرها من غير تأويل ولا تعطيل ولاتبديل ، لانها ــ وقد بلغت هذا المبلغ من الثبوت ــ لا يسع أحدا يؤمن بالله ورسوله أن يردها أو ينكرها أو يصرفها عن حقيقتها الناصعة المشرقة الواضحة الى معان مجازية لا دليل عليها ، ولا حاجة اليها ويرتكب فى سبيل ذلك من التكلف والتعسف ما لا يليق بعاقل ولا مؤمن .

١ ــ ولنتأمل أولا فى الحديث الذى اخترناه للشرح وجعلناه مدخلا لهذه الثلة من البحوث وهو حديث أبى هريرة مرفوعا (والذى نفسى بيده لينزلن ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكما عدلا مقسطا .. الحديث) وهو حديث صحيح أخرجه الشيخان وغيرهما فماذا نجد ؟

ان نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان أمر غريب ، وشأن من شئون الله عجيب ، ولذلك فقد اهتم به النبى صلى الله عليه وسلم ، فصدر كلامه بهذا القسم العظيم ، وتابع توكيد الكلام بطائفة أخرى من المؤكدات لا تخفى على الذين أوتوا العلم ، ثم كيف الرمز حكما على فرض تأويله بذلك ، والحكم هو الحاكم الذى لا معقب لحكمه ؟

٢ ــ وهناك ما هو أشد صراحة من هذا وهو ما رواه الامام أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ليهلن عيسى بن مريم يفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنيهما جميعا » . والاهلال هو رفع الصوت بالتلبية .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣ ـ ومن ذلك ما أخرجه الامام أحمد فى المسند وأبو داود فى السنن من حديث أبى هريرة مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« الانبياء اخوة لعلات : أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وانى أولى الناس بعيسى بن مريم ، لانه لم يكن بينى وبينه نبى ، وانه نازل ، فاذا رأيتموه فاعرفوه : رجل مربوع الى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران ، كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل ، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس الى الاسلام ، ويهلك الله فى زمانه الملل كلها الا الاسلام ، ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال ، ثم تقع الامنة فى الارض حتى ترتع الاسود مع الابل ، والنمار مع البقر ، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون » (١) . وهو حديث واضح لا يحتاج الى تعليق .

ـ ومن أعجب ما رأيت فى تأويل أحاديث نزول ابن مريم عليه السلام آخر الزمان ، وقتله للمسيح الدجال ، وانتصار الحق على يديه ، وظهور الاسلام فى زمانه على سائر الملل ما ذكره بعض من ينتسبون الى العلم خلال تحقيقه وتعليقه على كتاب « النهاية فى الفتن والملاحم والسمعيات » للعلامة الحافظ ابن كثير القرشى من أنه لا مانع أن يفهم أن نزول عيسى رمز الانتصار قوى الخير المرموز لها بعيسى بن مريم على قوى الشر المرموز لها بالمسيح الدجال ، وله فى ذلك تقريرات غريبة أو تكلفات عجيبة ، وقد أشبعنا الكلام فى الرد عليه وعلى من يذهب مذهبه فى رسالتنا عن الامام العلامة ابن كثير القرشى « جهود الحافظ ابن

---

(١) أولاد العلات : هم الاخوة لأب من أمهات شتى ، وأما الاخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان .

والممصرة من الثياب التى فيها صفرة خفيفة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كثير القرشى فى علمى الحديث دراية ورواية » وناقشناه فى كل ما سود به صحائفه فى شأن عيسى بن مريم عليه السلام وسائر السمعيات ، أسأل الله أن يوفق لنشرها والانتفاع بها بحوله وقوته ، ومنه وكرمه .

ويستطيع المنصف بعد كل ذلك الذى تقدم من حجج وبراهين أن يدرك أن هذه الاحاديث تفيد القطع واليقين ، لورودها فى الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم عن أكثر من عشرة من الصحابة الاجلاء رضوان الله عليهم أجمعين ، ولتلقى الامة لها بالقبول وأخذها على ظواهرها وعدم تأويلها من جانبهم ، والمحدثون وأهل العلم بالقرآن مؤمنون بما تضمنته وأثبتته فقد أودعوها كتبهم وفسروا بها كلام ربهم — وهم أهل الذكر فى هذا الشأن — وهى فى الصحيحين وهما الكتابان اللذين تلقتهما الامة كلها بالقبول فضلا عن غيرهما ، ثم انه لو تمارينا فى هذه الاحاديث — وقد بلغت هذا المبلغ من الثبوت — فانه لا يكاد يبقى معنا من السنة شىء ، ولادى بنا ذلك الى سوء الظن بعلماء السلف ، ورواة العلم ، وأئمة الحديث ، بل بالصحابة الكرام ، ولا أظن أن مؤمنا يرضى ذلك لنفسه ، أو يبيحه لغيره ، والله الهادى الى سواء السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مـن أحب لقـاء الله أحب الله لقـاءه

عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كـره اللّـه لقاءه ، فقلت : يانبى الله أكراهية الموت فكلنا نكره المـوت ؟ فقـال : ليس كذلك ، ولكن المؤمن اذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وان الكافر اذا بشر بعذاب الله وسخطه كـره لقاء الله وكـره الله لقـاءه » .

متفق عليـه .

الشرح والبيـان

يكشف لنا الصادق المصـدوق صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الشريف عن حقيقة من أمور الغيب وهى أن حالة الاحتضار وقبل خروج الروح ومفارقتها للجسـد يكشف للمرء ما هو صائر اليه من سـعادة ورضوان ان كان من المؤمنين ، وشقاوة وسخـط وخسران ان كان من الكافرين واذ ذاك يشتاق المؤمن الى لقـاء ربه والصيرورة الى مـا عنده والله للقائه أشوق ، ويكره الكافر هذا اللقاء والصـيرورة الى عـذاب الله وسخطه والله أشد كراهية للقائه .

قـال العلماء : محبة الله لعبده ارادته الخير له ، وهدايته اليـه ، وانعامه عليه ، وكراهته على الضد من ذلك .

وقد اختلف أهل العلم فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » هل هى جملة شرطية أو خبرية .

فذهب الكرمانى الى أنها جملة شرطية لكن الشرط فيها ليس سببا فى الجـزاء بل الامر بالعكس ، ولكنه على تأويل الخبر أى من أحب لقـاء الله أخبره بأن الله أحب لقاءه ، وكذا الكراهة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال غيره : « من » هنا خبرية وليست شرطية ، فليس معنـاه أن سبب حب الله لقاء العبد حب العبد لقاءه ، ولكنه صفة حال الطائفتين فى أنفسهم عند ربهم ، والتقدير : من أحب لقاء الله فهـو الذى أحب الله لقـاءه ، وكذا الكراهة .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : ولا حاجة الى دعوى نفى الشرطية، فقد جاء هذا الحديث فى كتاب التوحيد من صحيح البخارى بلفظ « قال الله عز وجـل : اذا أحب عبدى لقائى أحببت لقاءه ... الحديث فيتعين أن تكون « من » فى حديث الباب شرطية وتأويلها ما سبق .

والواقع أن من نظر الى حقيقة الامر أدرك أن عناية الله سـابقة ، وأعمال العباد لاحقة ، ومن نظر الى ظاهر الحال علم أن ثواب الله تابـع للاعمال والاحوال ـ ويجرى هذا مجرى الكلام فى التوبة : أئذا تـاب العبد الى الله تاب الله عليه ؟ أم اذا تـاب الله على العبد تـاب العبد الى الله ؟ والذى لا أشـك فيـه أن كـل ذلك صحيح ، ومن تأمل هـذا الكلام أدرك أن « من » فى حديث الباب شرطية والكلام يمكن أن يكون صحيحا بتأويـل وبدون تأويـل .

وقالوا فى قوله صلى الله عليه وسلم «أحب الله لقاءه وكره الله لقاءه» العدول عن الضمير الى الظاهر وهو لفظ الجلالة تفخيما وتعظيما ، ودفعا لتوهم عود الضمير على الاسم الموصول وهو « من » لئلا يتحد فى الصورة المبتدأ والخبر ، ففيه اصـلاح اللفظ لتصحيح المعنى ، وأيضا فعود الضمير على المضـاف اليه قليل .

واللقـاء يقع على أوجه : منها المعاينة ، ومنها البعث كقوله تعـالى (الذين كذبوا بلقاء الله) (١) ومنها الموت كقوله (من كان يرجو لقـاء الله فان أجل الله لآت) (٢) وقوله (قل : ان الموت الذى تفرون منه فأنـه ملاقيكم (٣) ومنها الصيرورة الى الدار الآخرة .

---

(١) سورة يونس (٤٥) (٢) سورة العنكبوت (٥) .
(٣) سورة الجمعـة (٨)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمراد بلقاء الله فى الحديث المصير الى الدار الآخرة وطلب ما عند الله ، وليس المراد به الموت لان كلا يكرهه ، فمن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن أحب لقاء الله ومن آثر الحياة الدنيا ، واتبع نفسه هواها ، وكذب بلقاء الله كره لقاء الله .

تقول عائشة رضى الله عنها (فقلت : يارسول أكراهية الموت فكلنا نكره الموت) .

كراهية منصوبة على أنها مفعول به لفعل محذوف تقديره أتعنى كراهية الموت ، والفاء من قولها « فكلنا نكره الموت » فاء الفصيحة لأنها تفصح عن شرط مقدر تقديره : ان كنت تعنى كراهية الموت فكلنا نكره الموت .

(فقال : ليس كذلك)

أى ليست الكراهة التى أعنيها كراهية الموت ، ولكنها كراهية المصير الى الدار الآخرة حينما يكشف لمن حضره الموت عما كان عليه فى حياته من ايمان أو كفر وهدى أو ضلال وعما أعد له من سعادة أو شقاوة ورضوان أو سخط وجنة أو نار ، ويبشر السعداء برضوان الله ورحمته وجنته ، والاشقياء بغضب الله وعذابه ونقمته فذلك الذى أعنيه ، وهو ما عبر عنه عليه الصلاة والسلام بقوله (ولكن المؤمن اذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وان الكافر اذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه) .

وهذا التبشير واقع فى حالة الاحتضار لا محالة ، فقد جاء فى صحيح البخارى من حديث عبادة بن الصامت (ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شىء أحب اليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شىء أكره اليه مما أمامه الحديث)(١) وفى حديث جميد عن أنس (ولكن

---

(١) البخارى فى الرقاق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المؤمن اذا حضر جاءه البشير من الله ، وليس شيء أحب اليه من أن يكون قد لقى الله فأحب الله لقاءه) وفى رواية عبد الرحمن بن أبى ليلى (ولكن اذا حضر فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله للقائه أحب » .

والقرآن الكريم قد تضمن من ذلك ما يحسن الدلالة عليه ، والتنبه له ، فقد قال الله تبارك وتعالى فى شأن المؤمنين (ان الذين قالوا : ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ، نزلا من غفور رحيم) (١) .

قال ابن عباس وجمهور المفسرين : ان الملائكة تتنزل عليهم بهذه البشريات عند الموت ، وقال بعضهم : اذا قاموا من قبورهم ، وقال وكيع بن الجراح : البشرى تكون فى ثلاثة مواطن : عند الموت وفى القبر وعند البعث ، وكل ذلك صحيح ولكل وجه ومستند من القرآن والسنة ، ورأى وكيع أشمل ، لان أهل الاستقامة يبشرهم الله وينزل عليهم ملائكته عند كل مخافة ، ولدى كل مفزعة وفى حديث البراء رضى الله عنه قال « ان الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجى أيتها الروح الطيبة فى الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجى الى روح وريحان ورب غير غضبان » .

ويقول الله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حسيسها وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون ، لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون) (٢) .

وقال فى شأن الكافرين (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة

---

(١) سورة فصلت (٣٠-٣٢) (٢) سورة الانبياء (١٠١ - ١٠٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد) (١) وغير ذلك من الآيات .

ومن الطريف أن شريح بن هانىء ـ وهو من التابعين ـ سمع من أبى هريرة رضى الله عنه أصل الحديث وحسب أن المراد كراهية الموت يقول : فأتيت عائشة فقلت : يا أم المؤمنين سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ان كان كذلك فقد هلكنا فقالت : ان الهالك من هلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك ؟ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب لقاء الله أحب اللهلقاءه ومن كره لقاء الله كرهاللّه لقاءه ،وليس منا أحد الا وهو يكره الموت ، فقالت ، قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بالذى تذهب اليه ، ولكن اذا شخص البصر ، وحشرج الصدر ، واقشعر الجلد وتشنجت الاصابع ، فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٢).

ما يؤخذ من الحديث

وفى الحديث أن المحتضر يبشر بما هو صائر اليه ان كان من أهل السعادة فبجنة الله ورحمته ورضوانه ، وان كان من الاشقياء فبعذاب الله وسخطه .

وفيه أن المحتضر اذا ظهرت عليه علامات السرور كان ذلك دليلا على أنه قد بشر بالخير ، وكذا بالعكس .

وفيه أن محبة لقاء الله لا تدخل فى النهى عن تمنى الموت ، لانها ممكنة مع عدم تمنى الموت ، وذلك كما اذا كانت المحبة للقاء حاصلة لا يفترق حاله فيها بحصول الموت ولا بتأخره .

---

(١) الأنفال (٥٠ ـ ٥١) .

(٢) صحيح مسلم ١١/١٧ وشخص البصر : فتح المحتضر عينيه الى السماء فلا تطرف ، والحشرجة : تردد النفس فى الصدر ، وأما اقشعرار الجلد فهو قيام شعره ، وتشنج الاصابع تقبضها ، وهذه حالة المحتضر .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفيه أن النهى عن تمنى الموت محمول على حال الصحة والحياة المستمرة ، وأما عند الاحتضار والمعاينة فلا تدخل تحت النهى ، بل هى مستحبة .

وفيه أن فى كراهة الموت فى حالة الصحة تفصيلا ، فمن كرهه ايثارا للحياة الدنيا على ما بعد الموت من نعيم الآخرة كان مذموما ، ومن كرهه رغبة فى الازدياد من الخير والتزود من الاعمال الصالحة كان محمودا ، ومن كرهه خشية أن يفضى الى المؤاخذة كأن يكون مقصرا فى العمل بالقيام بأمر الله أو التخلص من تبعات العباد فهو معذور ، لكن ينبغى لمن هذا شأنه أن يبادر الى أخذ الاهبة حتى اذا حضر الموت لا يكرهه ، بل يحبه لما يرجو بعده من فضل الله .

وفيه البداءة بأهل الخير فى الذكر لشرفهم ، وان كان أهل الشر أكثر ، وهذا اذا لم تكن هناك نكتة تقتضى البدء بذكر أهل الشر والفساد .

وفيه أن الله تعالى لا يراه فى الدنيا أحد من الاحياء وانما يقع ذلك للمؤمنين بعد الموت ففى بعض ألفاظ هذا الحديث « والموت دون لقاء الله » واللقاء أعم من الرؤية ، فاذا انتفى اللقاء انتفت الرؤية من باب أولى . وفى صحيح مسلم من حديث أبى أمامه عن النبى صلى الله عليه وسلم : (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) .

نسأل الله أن يوفقنا بطاعته ، ويكرمنا برضوانه وجنته ، ويرزقنا وسائر أحبابنا لذة النظر الى وجهه الكريم فى جنات النعيم مع اخواننا وسائر المسلمين .

ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تم بحمد الله

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دار الحمامى للطباعه
شارع الجيش ت : ٩٠٤١٣١
القاهرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رقم الايداع ٧٨/٣٤٢٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner